الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر

كلية الأدب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

مذكرة تخرج لنهاية شهادة ليسانس في الادب العربي

تيمة الغربة والحنين في الشعر الاندلسي

(ابن خاتمة أنموذجا)

من إعداد الطالبتين

- راقب عومرية
- أسلي خيرة

تحت إشراف الأستاذة:

بشارف حفيظة

السنة الجامعية 2017-2018

1438هـ/1439هـ

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ول يطيب النهار إلا بطاعتك ولا يطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الأخوة إلا بعفوك ولتطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الآمة إلي بني الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صل الله عليه وسلم.

أهدي ثمرة هدا العمل إلى من جرع كأس فارغا ليسقيني قطرة الحب إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى قلب الكبير بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار (والدي العزيز)

-إلى من أرضعتني حب وحنان إلى رمز التفاني وبسمة الحياة و سر الوجود بلسم جوادي وشفائي إلى قلب الناصح بالبياض أغلى الحياتي (والدتي الحبيبة)

إلى من بهم أكبر وعليهم اعتمد إلى الشماعات المتقد تنير ظلمة حياتي إلى من بوجودهم أحتسب قوة و محبة لا حدود لها إلى من عرفت معهم معنى الحياة إخوتي (رانيا –أميرة – مريم – جمال الدين).

إلى كل العائلة الكريمة كبارها وصغارها أجدادي أخوالي و أعمامي.

إلى الأرواح التي سكنت روحي الأن تفح الأشرعة وترفع الموساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم في ذكريات الأخوة السعيدة إلى الدين أحببتهم و أحبوني إلى الإخوة التي لم تلدهن أمي صديقاتي (عومرية – خديجة- مريم – سهام – وردة)إلى كل من عرفني من قريب وبعيد

خيرة

نحمده تبارك و تعالي على كل ما منح أو سلب و نعوذ بنور و جهه الكريم من العناء و النصب و نسأله الخلود في دار السلام حيث لا لغو و لا صخب.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وإليه المتقلب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم المرسلين، نطق بأفصح الكلام، وجاء أعدل الاحكام أما بعد:

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى من علمني الصبر، إلى من أفتقده في مواجهة الصعاب، ولم تمله الدنيا لأرتوي من حنانه، إلى من أخذته أيادي القدر، له جنة الخلد إن شاء ربي، أبي —رحمة الله–

إلى الينبوع الذي لا تمل العطاء، إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى أمي الغالية–أطال الله في عمرها–

إلى إخوتي الأعزاء (فضيلة–بن عومر–حنان وخاصة إسراء)

إلى أعز إنسان على قلبي حفظه الله ورعاه —حسين–

إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي صديقاتي (مريم، سهام، خديجة، وردة، دليلة).

إلى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد.

عومرية

شكر وتقدير

يارب لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك عظيم سلطانك لك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه.

صلوات الله وتسليمه عليه كل ما ذكره الذاكرون وعقل عن ذكره

نتقدم بالشكر والاحترام والتقدير إلى الأستاذ المشرف: بشارف حفيظة على اهتمامها وقيم لها الإشراف كما لا يفوتنا أن نشكر لجنة المناقشة الموقرة.

نتقدم إلى شكر كل من ساعدنا في الانجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد

وشكرا

وشكرا

الفهرس

الفهرس

إهداء ..... أ

شكر و تقدير..... ج

المقدمة 1

مدخل 5

خصائصه: 6

موضوعات الشعر الأندلسي:..... 7

شعر الزهد والتصوف: 7

الغزل 9

الوصف.....12

الرثاء 16

الهجاء.....20

الفخر 22

المدح.....23

الحنين لغة و إصطلاحا 17

أ) لغة: 17

الجانب الاصطلاحي 18

مفهوم الغربة و الاغتراب:.....19

أ) لغة: 19

الغربة إصطلاحا: 20

أنواع الاغتراب:.....22

الغربة والشعر.....28

الغربة والحنين في الشعر العربي 29

الغربة والحنين في العصر الجاهلي 30
في العصر الإسلامي: 32
في العصر الاموي: 33
في العصر العباسي: 35
في العصر الحديث: 37
عرض تاريخي وموجز لشعر الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: 38
أسباب ذيوع شعر الغربة والحنين 40
الرحلة: 40
الاعتقال و الابعاد 48
التهجير عن أرض الوطن 54
نماذج من شعر الحنين: 60
ابن خاتمة 70
نسبه 70
مؤلفاته وأثاره 71
الخصائص الفنية لشعر الغربة والحنين 72
سهولة اللفظ 72
صدق العاطفة 74
التجربة الذاتية الشعرية 76
المزج بين الحنين و الطبيعة 78
بناء القصيدة 79
القصيدة 01 82
التحليل 84
مناسبة القصيدة 84
الخصائص الفنية في القصيدة 84

1-سهولة اللفظ.....84
2- صدق العاطفة.....85
3- التجربة الذاتية الشعرية.....86
4- المزج بين الحنين و الطبيعة.....87
5- بناء القصيدة.....88
القصيدة 02 90
التحليل.....91
1- سهولة الالفاظ 91
2- صدق العاطفة.....92
التجربة الذاتية الشعرية 92
المزج بين الحنين والطبيعة 93
5- بناء القصيدة.....93
الخاتمة 95
خاتمة: 96
تراجم شعراء الحنين و الغربة.....98
إبن خفاجة (450-533هـ/1085-1138م) 98
أبو البقاء صالح بن شريف الرندي:.....98
أبو المطرف بن عميرة المخزومي: 98
لسان الدين بن الخطيب: 98
أبو جعفر الالبيري: 99
ابن جزي الكلبي: 99
أبو حيان الغرناطي: 100
ابن سعيد الاندلسي: (610-685هـ)(1214-1286م) 100
ابن زيدون: 100

الرصافي البلنسي: 100
الملك الشاعر يوسف الثالث:..... 100
أبو الحسين بن أحمد بن سليمان (ابن فركون)..... 101
أبو عبد الله بن زمرك: 101
إبن الابار القضاعي: 101
قائمة المصادر والمراجع 102
المجلات و الدوريات..... 104

مقدمـــــــة

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العربية على أشرف لسان، و أنزل كتابه المحكم في اساليبه الحسان، و الصلاة و السلام على أفضل العرب لهجة و صحبه الذين فتحوا البلاد، و نشروا لغة التنزيل في الاغوار و الانجاد، و حببوها إلى الاعجمين حتى إستقامت ألسنتهم على النطق بالضاد، أما بعد:

شهدت الاندلس نهضة فكرية متألقة، نثرا و خاصة الشعر، فقد أجاد الاندلسيون في كل أغراض الشعر العربي، و كان لهم النصيب الاوفر في شعر الغربة و الحنين، فضربوا فيه بسهم وافر لأنه و بطبيعة الحال تعبير عن عاطفة صادقة، فهذا اللون من الشعر قديم، بإعتباره ظاهرة إنسانية، تعبر في طياتها عن كل مشاعر الألم لفراق الوطن و الاهل و الاحباب، و الشوق، فالمحنة التي قدر على الاندلسيين أن يعيشوها هي التي فرضت عليهم مفارقة معاهدهم و أهلهم، فذاقوا مرارة الألم و التشتت و الفراق، و هذا ما سنتطرق إليه من خلال مذكرتنا هذه و المعنون ب" تيمة الغربة و الحنين في الشعر الاندلسي" و وقع إختيارنا على 'الشاعر ابن خاتمة الاندلسي كأنموذج".

و من الطبيعي أن يثير كل موضوع في نفس الباحث تساؤلا رئيسيا، ومنه فالإشكالية المطروحة كيف تجلت تيمة الغربة و الحنين في الشعر الاندلسي عامة، و في شعر " ابن خاتمة بصفة خاصة"، و اندرجت تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات التي تبادرت إلى أذهاننا من خلال ولوجنا إلى هذا الموضوع و نذكرها فيما يلي:

- ما المفهوم اللغوي و الاصطلاحي لكلمتي الغربة و الحنين؟

- فيم تمثلت أنواع الاغتراب؟

– كيف كانت بدايات شعر الحنين في مختلف العصور وصولا إلى الفترة التي نحن بصدد درسها؟

– ماهي أهم أسباب ذيوع هذا النوع من الشعر؟

– ما أهم الخصائص الفنية لشعر الحنين؟

و لم يكن اتجاهنا للبحث في هذا الموضوع من قبيل المصادفة بل أملته دوافع كثيرة منها:

– الميل الشخصي إلى دراسة الشعر الاندلسي، حتى نتمكن من المساهمة و لو بجزء بسيط في اكتساب معلومات عن هذا الشعر المنفرد بخصائصه و كذا محاولة خوض غمار التجربة التدريبية على البحث، و هذه تبقى كمبررات ذاتية.

وللإلمام بهذا الموضوع و محاولة الإجابة على هذه الأسئلة، فرضت طبيعة البحث أن يكون كالاتي:

يقع البحث في فصلين تسبقهما مقدمة و مدخل تليهما خاتمة و تفصيل ذلك فيما يلي:

– انفرد المدخل بتقديم شامل لنشأة الشعر الاندلسي وأهم خصائصه و موضوعاته.

أما الفصل الأول، فقد جاء نظريا و هو موسوم بالغربة و الحنين في الشعر الاندلسي و عوامل ذيوعهما.

و تناولنا في المبحث الأول منه معنى الحنين و الغربة لغة و إصطلاحا، و أنواع الاغتراب (النفسي، الزماني و المكاني)

أما المبحث الثاني فقد خصصناه لحال شعر الحنين أصله و تطوره على مر العصور (العصر الجاهلي، العصر الإسلامي، العصر الاموي، العصر العباسي، و كذا العصر الحديث، كما أشرنا إلى هذا الضرب من الشعر عند الاندلسيين.

أما المبحث الثالث فقد خصصناه لأهم العوامل التي ساهمت في ذيوع هذا الشعر، كما لم يفتنا ذكر نماذج من شعر الحنين.

و اما فيما يخص الفصل الثاني و المعنون بالخصائص الفنية لشعر الحنين، ابن خاتمة أنموذجا، و الذي يمثل الجانب التطبيقي لهذا العمل، فقد قسمناه إلى مبحثين إثنين:

فخصصنا الأول منه ل: نسب ابن خاتمة الاندلسي و أهم مؤلفاته، و الثاني تناولنا فيه الخصائص الفنية و تذكرنا فيما يلي سهولة اللفظ، صدق العاطفة، التجربة الذاتية الشعرية، المزج بين الحنين و الطبيعة و أخيرا بناء القصيدة، و طبقناها على بعض من شعر (ابن خاتمة الاندلسي)، و في الأخير ختمنا عملنا بأهم النتائج، إضافة إلى ملحق لشعراء الحنين و قائمة المصادر و المراجع.

و ليس من اليسير إنجاز بحث في موضوع كهذا، فقد واجهتنا مجموعة من العراقيل، تأتي في طليعتها عقبة إتساع المدونة.

على الرغم من توفر المصادر و المراجع، إلا أننا حملنا مشقة البحث فيها، و لملمة الاشعار من هنا و هناك.

و قلة المراجع و الدراسات التي تحلل أعمال الشاعر الاندلسي "ابن خاتمة".

و لبلوغ الغاية في هذه الدراسة، فقد استعنا ببعض المناهج التي كانت لها صلة وثيقة بالبحث و نذكر أولها: المنهج التاريخي الذي ساعدنا في عرض حال شعر الحنين في مختلف العصور، إذ لا يمكننا الولوج إلى دراسة هذا النوع من الشعر دون الرجوع إلى خلفياته التاريخية.

كما استطاع المنهج التحليلي أن يساعدنا على تحليل اهم الخصائص الفنية لشعر الغربة و تطبيقها على شعر "ابن خاتمة" بالإضافة لبعض الأدوات الإجرائية كالوصف و الإحصاء خاصة في ذكر شعراء الحنين.

وقد اعتمدنا مكتبة متنوعة من المصادر و المراجع القديمة و الحديثة نذكر منها:

- ديوان ابن خاتمة لمحمد رضوان الداية.
- الإحاطة في أخبار غرناطة ل: لسان الدين ابن الخطيب.
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لشهاب الدين المقري التلمساني
- تاريخ الادب الاندلسي لإحسان عباس
- إلى جانب المعاجم.
- لسان العرب لابن منظور
- القاموس المحيط للفيروز أبادي
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي
- و لا يسعنا في الأخير، إلا أن نحمد الله سبحانه و تعالى على عونه.

و بالله التوفيق

المدخل

مدخل

ما لبث العرب أن استقروا في الأندلس ورحل إليها شعراؤهم، حتى بدأ الشعر يشق طريقه إلى الوجود، ويقوى وتتنوع فنونه، وما يلفت النظر شيوع الشعر في المجتمع الأندلسي، إذ لم يكن الشعر وقفا على الشعراء المحترفين، وإنما شاركهم في ذلك الأمراء والوزراء والكتاب والفقهاء والفلاسفة والأطباء وأهل النحو واللغة وغيرهم.

والشعر في الأندلس امتداد للشعر العربي في المشرق، فالشعر الأندلسي هو ذلك اللون من الشعر الذي نبع من الأندلس، والذي انفرد بمجموعة من الفنون الشعرية، والنظم التي نظمها الشعراء خاصة تلك المتعلقة برثاء الممالك الزائلة وقد احتفظ الشعراء في بادئ الأمر بتتبع أثار الشرق، ونسج الشعر على نفس المنوال، فكانت منبع الحضارة، لذا نجد الشعراء الأندلسيين قد ساروا على نفس خطى الشعراء في الشرق.

خصائصه:

1. تأثر الشاعر الاندلسي بالشعر الإسلامي خصوصا العصر العباسي، حتى أن شعراء الاندلس قد لقبوا باسم شعراء المشرق.
2. عبر الشعر الاندلسي عن ذاتية صاحبه، وارتبط ارتباطا كبيرا بالواقع وهذا بسبب تأثير البيئة في الاندلس على الشعراء.
3. خلوه من الالفاظ الغريبة المبهمة.
4. ترابط الأفكار ووضوح معانيه
5. استخدام التصوير والاستعارات الدقيقة والتخيل.
6. البعد عن المبالغة والمغالاة
7. العاطفة الصادقة الجياشة وخاصة في التشوق للوطن
8. رقة الألفاظ والعناية بها.
9. المحسنات البديعية التي أكثر منها الشعراء دون تكلف.
10. التناغم من خلال التكرار في بعض الحروف من أواخر الابيات الشعرية.
11. سلاسة وسهولة اللغة والتراكيب.
12. استخدام البحور القصيرة الخفيفة للتماشي مع طبيعة الحياة وانتشار الغناء.

موضوعات الشعر الأندلسي:

كان الشعر الأندلسي وافرا غزيرا يحتل في نفوس الناس مقاما عاليا' فلم يترك الأندلسيون حالة من حالاتهم النفسية والاجتماعية إلا نظموا فيها الشعر ولم يدعوا غرضا من الأغراض التي يصح أن يقال فيها، إلا ضربوا فيه بسهم، فلا تكاد تجد ناحية من نواحي الحياة عندهم لم يسجل لهم فيها شعر: الزهد والتصوف، الغزل، الوصف، الرثاء، الهجاء، الفخر، المدح وشعر الأدب والحكمة، ....

شعر الزهد والتصوف:

– كانت حياتهم حياة ترف ونعيم، تروج فيها صنوف اللهو وأنواع المرح، ومن يعيش في تلك البيئة المترفة وبين هده الملاعب والملاهي، لا يستطيع الدعوة إلى الزهد ولا القول في التصوف إلا قليل.

– ومن المأثور في الزهد، ما رواه (الشقندي) في رسالته مستجيدا له عن أبي وهب العباسي القرطبي، إذ يقول:

أنا في حـــالتي التـــي قد تراني ان تـــــأملت أحسن الناس حالا

منزلي حيث شئت من مستقرا ال أرض أسقي من الميـــــاه زلالا

ليس لي كسوة أخـــــاف عليها من مغير ولن ترى لي إمـــالا

أجعل الســـاعد اليمين وسادي ثم أثني إذا انقلبت الشمـــالا

ليس لـــــي والد ولا ولـــــود لا، ولا حزن منذ عقلت عيـــالا.

قد تلددت حقبـــــــة بـــأمور فتـــــأملتها فكـــــانت خيـــــالا

– فقد كان القرن الخامس الهجري، في ظل دول الطوائف، منطلقا لعدد غير قليل من الشعراء لنظم شعر الزهد وينجد بعض الشعراء الذين غلب الزهد على دواوينهم، كأبي إسحاق الالبيري. فظروف القرن الخامس من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية أيضا سمحت بمثل هذا الاستغراق في شعر الزهد، فقد شهدت هذا النوع من الشعر فوضى الحياة السياسية، وزادت في حب الخلاص لدى الفرد من عوائل الحياة. ومن الشعراء الدين مالوا إلى القول في الزهد أبو قاسم السميسر وكان زهده باللسان دون الاعتقاد به والاعتماد له مذهبا، ومن شعره في الدنيا وحقيقة موقف الناس منها:

لله في الدنيـــــا و في أهلها معميـــــات قد فككنـــاها[1]

من بشر نحن فمن طبعنـــــا نحب فيها المال و الجاها

دعني من الناس ومن قولهم فإنمـــا النـــاسك خـــلاها

لم تقبل الدنيا على نـــاسك إلا و بـالرحب تلقـــاهـــا

وانما يعرض عن وصلـــــها من صرفت عنه محياها !

و هذا موقف صريح جدا بالغ الاسراف في التعميم ، وقياس الناس على مثال واحد وهو موقف مبني "على سوء الظن بالناس"[2] ، وهو القائل:

[1] معطيات أمر فيها خفاء، و تحتاج إلى ذكاء و براعة لإستخراج مقاصدها.
[2] إحسان عباس، تاريخ الادب الاندلسي، عصر الطوائف و المرابطين د ط، دت، ص 135.

جملة الدنيـــــــا ذهاب مثلمـــــــا قـــالوا سراب

الغزل

شعر الغزل أرق أنواع الشعر وأسلسها، وأعذبها ألفاظا وأسهلها، وانسها إلى النفس وأحبها الى القلب، وأعلقها بالفؤاد وأنداها على السمع ذلك أنه محض عاطفة ووجدان، وصدى قلب مدنف وفؤاد مشغوف استهواه الجمال، وأثر فيه الهجر والوصال، وحب كله عطف واشتياق، حنين وأنات، وآمال والآم.

وما افتتن الشعراء في شيء كالغزل، ولا تباروا في غيره مثلما تباروا فيه، فهذا (أحمد ابن عبد ربه) يتغزل بمحبوبته فيقول:[3]

بنفسي التي ضنت برد سلامتها و لو سألت قتلي و هبت لها قتلي

إذا جئتها صدت حياء بوجهها فتهجرني هجرا ألذ من الوصل

و إن حكمت جارت علي بحكمها و لكن ذاك الجور أشهى من العدل

كتمت الهوى جهدي فجرده الأسى بماء البكاء هذا يخط و ذا يملى

و أحببت فيها العذل حبا لذكرها فلا شيء أشهى في فؤادي من العدل

أقول لقلبي كلما ضامه الاسى إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل

برأيك لا رأيي تعرضت للهوى و أمرك لا أمري و فعلك لا فعلي

[3] عبد العزيز محمد عيسى، الادب العربي في الاندلس، مطبعة الاستقامة القاهرة، 1945، ص 128.

وجدت الهوى نصلا من الموت مغمدا فجردته ثم اتكيت على النصل

فإن كنت مقتولا على غير ريبة فأنت الذي عرضت نفسك للقتل

ولعل من أبرز الشعراء في شعر الغزل (الوزير أبو الوليد بن زيدون) وله فيه قصائد متعددة وممتعة، التي أسالها على لسانه حبه (لولادة) وما كان يجمعهما من العشق وأنواع الغرام، وهذا قوله وهو يحترق شوقا إليها ويتمنى لقاءها:

يا نازحا و ضمير القلب مثواه أنستك دنياك عبدا أنت دنياه

ألهتك عنه فكاهات تلذ بها فليس يجري ببال منك ذكراه

عل الليالي تبقيني الى أمل الدهر يعلم و الأيام معناه

وكذا قوله في قصيدة جميلة النظم بديعة النسق ومطلعها:

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا و ناب عن طيب لقيانا تجافينا

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم و لا جفت مآقينا

يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا[4]

و من الغزل الجيد في أوائل الشعر الاندلسي قصيدة الأمير الاموي " عبد الرحمان بن الحكم[5]" (المعروف بالأوسط) جمع فيها بين الغزل و الحماسة، فقال:

[4] عبد العزيز محمد عيسى، المرجع السابق، ص 130.
[5] المقري، شهاب الدين أحمد ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج1، ص 439.
* طروب: زوجة الأمير الاموي " هبد الرحمان بن الحكم"
* اللهام: الجيش العظيم- المهيب من المهابة و روي (لهاما لهيبا)

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا فما أقطع الليل إلا نحيبا

و إما بدت لي شمس النها رطالعة ذكرتني طروبا*

فيا طول شوقي إلى وجهها و يا كبدا أورثتها ندوبا

و يا أحسن الخلق في مقلتي و أوفرهم في فؤادي نصيبا

لئن حال دونك بعد المزا ر من بعد أن كنت مني قريبا

لقد أورث الشوق جسمي الضنى و أضرم في القلب مني لهيبا

عداني عنك مزار العدا وقودي إليهم لهاما مهيبا*

سموت إلى الشرك في جحفل ملأْت الحزون به و السهوبا

فالغزل رقيق، والشاعر يتشوق إلى محبوبته، ويتذكرها بعد طول غياب، ويصرح بحقيقة مكانتها في نفسه وقلبه ويعتدر في إطار الغزل، عن غيابه عنها[6]،...

و اشتهر في عصر الخلافة (أحمد بن فرج الجياني)[7]، الذي برع في الغزل و عده د. ضيف (حامل لواء الشعر العذري في الاندلس) و له الابيات المشهورة:

وطائعة الوصال عففت عنها و ما الشيطان فيها بالمطاع

بدت في الليل سافرة فباتت دياجي الليل سافرة القناع

[6] الداية، محمد رضوان، في الادب الاندلسي دار الفكر، دمشق- ط1- 2000م، ص 53.
[7] الضبي، بقية الملتمس في تاريخ ضال الاندلس ج1، ص 140.

و ما من لحظة إلا وفيها إلى فتن القلوب بها دواع

فملكت النهى جمحات شوقي لأجري في العفاف على طباعي[8]

الوصف

عرف الاندلسيون برقة الوصف و دقة التصوير، فكان شعرهم في الوصف طرقة فنية ممتعة، جميلة الشكل نادرة المثال، حسنة المنظر، و كان شعراؤهم يحسنون شعر الوصف و يحبونه، و يجيدون نظمه و يكثرون منه، على حين هو أصعب أنواع الشعر منالا و أعزها مطلبا، إذ لا يحس حتى يدق التشبيه و يسبح الخيال و يندر المجاز وتغرب الاستعارة، و يكون ذلك و حيا من الخاطر، و إلهاما من العقل و فيها يظهر أن جمال الاندلس الطبيعي و حسن موقعه و خصب أرضه، و ما سحر الشعراء هناك من أنهاره و أطياره، و ما راوه من مجالس الانس، ألهمهم جميل الاوصاف و غريب النعوت، و أوحى اليهم بكل ظريف طريف، فقد كان الوصف مرآة ناصعة ارتسمت عليها بلاغتهم و صورة حية و لم يدع شعراؤهم جليلا و لا حقيرا، لا مبتذلا و لا عظيما، و لا مظهرا من مظاهر الطبيعة و مناظر الكون إلا وصفوه بعذب شعرهم و رسموه رسما واضحا جليا، فهذا "ابن خفاجة" يصف نهرا فيقول:[9]

لله نهر سال في بطحاء أشهى ورودا من لمى الحساء

متعطف مثل السوار كأنه و الزهر يكنفه بحر سماء

قد رق حتى ظن قرصا مفزعا من فضة في بردة خضراء

[8] الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 54.

[9] عبد العزيز محم عسى، الادب العربي في الاندلس، مطبعة الاستقامة، القهرة، 1945، ص 118.

وغدت تحف به الغصون كأنها هدب تحف بمقلة زرقاء

ولطالما عاطيت فيه مدامة صفراء تخصب أيدي الندماء

و الورد في شط الخليج متحدرا متلونا كالحية الرقطاء

و الريح تعبث بالغضون و قد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

و " لابن سهل " أوصاف كثيرة يقول:[10]

الأرض قد لبست رداء أخضرا و الظل ينثر في رباها جوهرا

هاجت فجلت الزهر كافورا بها و حسبت فيها الترب مسكا أذفرا

و كأن سوسنها يصافح وردها ثغر يقبل منه خدا أحمرا

و النهر ما بين الرياض تخاله سيفا تعلق في نجادا خضرا

وجرت بصفحتها الريا فحسبتها كفا ينمق في الصحيفة أسطرا

كأنه – إذلاح – ناصع فضة جعلته كف الشمس بترا اصفرا

و الطير قد قامت به خطباؤه لم تتخذ إلا الأراكة منبرا

وله أيضا في وصف نهر، فيصوره في إحدى لوحاته وقد ألقت الشمس رداءها عليه، فبدا كحسناء ترفل في قميص أصفر ولكنه لا يكتفي بهذه الصورة وإنما يضيف إليها صورا أخرى، فيصف

[10] عبد العزيز محمد عيسى، المرجع السابق ص 119.

الطير وقد تغنت على جوانبه متجاوبة مع الرقصات، وغيرها من صور الربيع، ويقول أيضا في وصف للربيع فوق الخليج في إحدى مروج إشبيلية[11]:

لله نهر ما رأيت جماله إلا ذكرت لديه نهر الكوثر

والشمس قد ألقت عليها رداءها فتراه يرفل في قميص أصفر

و الطير قد غنت لشطح رواقص فوق الغدير جررن ثوب تبختر

و كأنما أيدي الربيع عشية حلين لبسات الغصون بجوهر

و كأن خضر ثماره و بياضه ثغر تبسم تحت خد معذر

ويرسم (ابن سهل) لوحة أخرى للنهر عندما ملت الشمس للغرب فيقول:[12]

نهر كأن الشمس تملأ قلبه فيحن داء الغرام دخيلا

الريح تبدي الثوب منه معكرا و الشمس تلقي صارما مصقولا

و كأنه ذو فجعة لفراقها قد ضم من خوف الوداع غليلا

ولأبي الحسن بن نزار وصف فيقول:[13]

و النهر ببسم بالحباب كأنه سلخ نضته حية رقشاء

[11] فوزي سعد عيسى، في الادب الاندلسي، القسم الأول – موضوعات الشعر- دط، ص 11

[12] فوزي سعد عيسى، الرمجع السابق ص 11.

[13] المقري، شهاب الدين بن أحمد نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تع، إحسان عباس دار صادر، بيروت ج1، ص 149.

فلذاك تحذره الغصون فميلها أبدا على جنباته إيماء

و له أيضا:[14]

سقى الله من غرناطة خير منزل غماما يروي سر حتيها سجال

و ربعا بحمراء المدينة آهلا أميطت على بدر السماء حجاله

(بحر الطويل)

ولم يتورعوا عن وصف الخمر وآنيتها، ولعبها بالعقول وامتلاكها الالباب، ووصف مجالس الطرب وأوقات الانس والسمر نجد ذلك في شعر " أبي عامر بن شهيد" إذ يقول في أثناء قصيدة طويلة رواها له " ابن بسام"[15]:

و علا بنا سكر أبى إلا الإبانة للمحارم

زمن قلا تسنا له و نحر من عذب العمائم

وترنمت فيها القيا ن لنا و رجعت البواغم

قمنا نصفق بالآنف لها و نرقص بالجماجم

إن باب الوصف حافل قد لا تفيه النماذج حقه مهما طال ايرادها وكثر عددها.

[14] مها روحي إبراهيم الخليل- المرجع السابق- ص35

[15] المرجع نفسه ص 120.

وقد نالت القصور التي بناها الموحدون في الاندلس إعجاب الشعراء فوصفوها وتغنوا بعظمتها، ومن ذلك قول ناهض بن إدريس يصف قصرا للأمير " أبي يحيى بن أبي يعقوب"[16]:

ألا حبذا القصر الذي ارتفعت به على الماء من تحت الحجارة أقواس

هو المصنع الأعلى الذي أنف الثرى و رفعه عن لثمه المجد و الباس

فأركب متن النهر عزا و رفعة و في موضع الأقدام لا يوجد الرأس

فلا زال معمور الجناب و بابه يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

كما نجد (لسان الدين بن الخطيب) الذي فتن بجمال طبيعة مدينته (غرناطة) يصفها بعبارات وصور لا تخفي شدة حبه وإعجابه بها، وتعلقه بحسنها يقول:[17]

بلد يحف به الرياض كأنه وجه جميل و الرياض غداره

و كأنما واديه معصم غادة و من الجسور المحكمات سواره

(بحر الكامل)

الرثاء

الرثاء لغة القلوب و حديث العاطفة، و هو صرخة المحزون و قطعة من قلب المفؤود، و كبده المتقطع، لا تبعثه الالسنة إلا من صدور موجوعة، و نفوس باكية، و قلوب ملتاعة، شفها الحزن

[16] المقري، شهاب الدين بن أحمد ، المصدر السابق ص 470.

[17] مها روحي إبراهيم الخليل- الحنين و الغربة في الشعر الاندلسي، عصر سيادة غرناطة (635هـ- 897 هـ) فلسطين 2007 ص 35.

و صدعها الهم، و أضناها الاسى، و للحزين أن يفرج عن نفسه، و يبث حزنه، فأسلوه شعرا باكيا،...

يتبين من خلال التلهف، و بين ثناياه من الجزع و الفجيعة ما به، فهاهو أبو البقاء الرندي[18]، مستعظما مصيبة ما حل بالأندلس التي لا ترى لها من عزاء و لا سلوى،...

يقول:[19]

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره و من ساءته أزمان

و هذه الدار لا تبقى على احد و لا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتما لكل سابغة إذا نبت مشرفيات و خرصان

و ينتضي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن و الغمد غمدان

أين الملوك دور التيجان من يمن و أين منهم أكاليل و تيجان؟

و أين ما ساده شداد في إرم و أين ماساسه في الفرس سلسان

[18] أبو البقاء الرندي، هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف يكنى بأبي البقاء، ولد في بداية القرن السابع ه، نسب إلى مدينة "رندة".

[19] الكسواني مصطفى خليل- مختارات من الشعر العربي القديم، دار صفاء للنشر و التوزيع عمان، ط2- 2014 ص 166.

ورثى "أبو إسحاق الالبيري" زوجته رثاء رقيقا، ذكر فيه شمائلها من التقوى و الورع و الادب الجم و حيى ذكراها، و بكاها و اسف على فراقها، و دعا لها، و تفجع عليها، و قال إنها تستحق أن يقضي أسفا عليها [20]...

عج بالمطي على اليباب الغامر و اربع على قبر تضمن ناظري(*)

فستتبين مكانه بضجيعة و ينم منه إليك عرف العاطر

فلكم تضمن من تقى و تعفف و كريم أعراق و عرض طاهر

واقر السلام عليه من ذي لوعة صدعته صدعا ما له من جابر

و في القصيدة:

إن كان يدثر جسمه في رمسه فهواي فيه الدهر ليس بداثر (*)

قطع الزمان معي بأكرم عشرة لهفي عليه من أبر معاشر...

و لو أنني أنصفته في وده لقضيت يوم قضى و لم أستاخر

وتمضي القصيدة على هذا النمط من رقة المشاعر، وحسن الوفاء، وذكر المآثر، وتبيان المواجد، وإظهار التأثر، ويستفيد الشاعر من ذكر الموت ليعود إلى نهجه في إطراح الدنيا.

و ها هو " أبو البقاء الرندي" يرثي زوجته بقصيدة يقول فيها[21]:

[20] الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 54.
* اليباب و الغمر، الحزاب، اربع على نفسك إنتظر.
* الرمس، القبر و دثر، بلي
[21] الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 143.

مضت مضي الصبا عني و لا عوض و من يقوم مقام الشمس و القمر؟

يا ليتني عندما حم الحمام، كما قاسمتها كبدي قاسمتها عمري

فإن تكن زهرة من روضها قطفت فقلما تمتع الأيام بالزهر

وإن تكن درة من سلكها خطفت و الدهر أدرى بما يسبي من الدرر

في هذه الابيات لوعة، وأسى لمسة من الوفاء، واستمرار الذكرى الطيبة، وتصريح بالمشاعر الفياضة الدالة على المحبة والمودة التي ربطت بين الشاعر وبين الفقيدة[22].

وهذا '' ابن خفاجة" يرثي ابن أخت له، قد بلغته وفاته بأغمات (من بلدان المغرب)، قال من أول القصيدة[23]:

أرقت أكف الدمع طورا و أسفح و أنضح خدي ثارة ثم أمسح

و دونك طماح من الماء بارد يعب، و مغبر من البيد أفيح

و أني إذا ما الليل جاء بفحمة لأوري زناد الهم فيها فأقدح

و أتبع طيب الذكر أنه موجع فينفح هذا حيث هاتيك تلفح

و ألقى بياض الصبح يسود وحشة فأحسبني أمسي على حين أصبح

و يوحشني ناع من الليل ناعب فأزجر منه بارحا ليس يبرح

[22] ينظر، الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 144.
[23] الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 145..

وقد أدخل " ابن خفاجة" غرض الرثاء في حومة عنايته بالطبيعة، وها هي ذي الطبيعة تساعده فهي تحزن لحزنه، فالبحر هائج، والبيد معبرة والليل حالك الظلمة، والصباح مسود الوحشية، والليل الذي كان هادئا صار مقطع الأوقات بالناعي والناعب...إلخ[24].

الهجاء

من الشعراء الذين اشتهروا بالهجاء " مؤمن بن سعيد"[25] (ت 267 هـ)، وقد رماه طول لسانه في السجن حتى مات فيه، وعبد الله بن الشمر[26]، ويروى من أخباره أن قاضيا اسمه يخامر، كانت فيه غفلة، فدس ابن الشمر بين أوراق الدعاوى ورقة فيها السمان مدعى ومدعى عليه، وسجل فيها المسيح بن مريم ويونس بن متى، فأمر يخامر أن ينادى على الخصمين المذكورين، فكما كرر المنادي الدعاء بالاسمين صاح ابن الشمر نزولهما من علامات الساعة، وكتب في بطاقة شعرا، منه:[27]

يخامر ما تنفك تأتي بفضحة دعوت ابن متى و المسيح بن مريما

قفاك قفا جحش ووجهك مظلم و عقلك ما يسوى من البعر درهما !

وقد ظهر الهجاء ثانيا مع دول الطوائف في قضايا شخصية، أو قضايا عامة كالظلم، الهزيمة في الحرب، والخلل الإداري.

و هذا أبو عامر الأصيلي يقول:

---

[24] نفسه ص 145.

[25] الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، تح إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1989م/ 1414هـ- ص 456.

[26] الداية محمد رضوان، في الادب الاندلسي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق- سوريا- ط1-2000م ص 72.

[27] الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 72.

أرى الأوغاد يعتمرون دورا و مالي في بلاد الله دار !

أجول فلا أرى إلا رعاعا كبارهم إذا اختبروا صغارا !

وقد عبر " خلف بن فرج الالبيري"[28] (السميسر) عن غضبه على المتهاونين من ملوك الطوائف، الغارقين في ملذاتهم، وقد تركوا شؤون الناس، وأهملوا الدفاع عن الأرض، فقال فيهم دون تخصيص واحد منهم:

ناد الملوك وقل لهم ما الذي أحدثتم؟

أسلمتم الإسلام في أسر العدا و قعدتم

وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم

لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتم

وقد كان السميسر مولعا بالهجاء، بهجاء المقصرين والمفسدين، وكل من يظن أنه ليس سوي، وألف كتابا في دلك سماه (شفاء الامراض في أخذ الاعراض) وعرض بحاكم غرناطة عبد الله بن بلقين في قوله:[29]

يبني على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير

[28] المقري، شهاب الدين بن أحمد نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تع، إحسان عباس دار صادر، بيروت ج1، ص 227.
[29] الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 74.

فقد انشغل ببناء قصر عظيم (قلعة) في وقت حرج يحتاج فيه الناس في الاندلس تهيئة الجيوش لصد هجمات الدول الشمالية.

الفخر

دخل شعر الفخر بلاد الأندلس مع الوافدين إليها، والفاتحين لها، وتقرأ في شعر عبد الرحمن الداخل من قصيدة، يفخر بنفسه، ويرد على من نسب الفضل في إمارة عبد الرحمان إليه، قال:[30]

لا يلف ممتن علينا قائل لولاي ما ملك الأنام الداخل

سعدي و حزمي و المهند و القنا و مقادر بلغت و حال حائل

و يقول قوم: سعده لا عقله خير السعادة ما حماها العاقل...

وفي شعر الحكم بن هشام (عرف بالحكم الربضي 206.170 هـ) بعد قضاءه على ثورة الربض الجنوني بقرطبة ضده:

رأيت صدوع الارض بالسيف راقعا وقدما لأمت الشعب مد كنت يافعا

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثلمة أبادرها مستنضي السيف دارعا؟

و يقول ابنه الذي ولي الامارة بعده عبد الرحمن بن الحكم (عرف بالأوسط 238.176 هـ) من قصيدة يعتذر فيها إلى زوجته لطول غيابه لجهاده بأرض جيليقية:

عداني عنك مزار العدا و قودي إليهم لهاما مهيبا[31]

[30] الداية، محمد رضوان، المرجع السابق، ص 77.
[31] اللهام، الجيش العظيم.

كأين تحظيت من سبسب[32] و جاوزت بعد دروب دروبا

ألاقي بوجهي حر الهجير إذا كان منه الحصى أن يذوبا

أنا ابن الهشامين [33] من غالب أشب حروبا و أطفي حروبا

المدح

كانت الحياة الاجتماعية بالأندلس توحي إلى الشعراء أن يمدحوا الخلفاء و الرؤساء، و ان يشيدوا بذكرهم و يذكروا مفاخرهم، و يعلنوا مالهم من أياد و ما امتازوا به من صفات[34]، هذا إلى ما كان من إكرام الأمراء و ذوي التيجان للنابغين من هؤلاء و إثابتهم لهم و إسباغ النعم و الأرزاق عليهم، و اختيارهم للمشاورة و الوزارة كل ذلك و ما إليه، أجرى على ألسنتهم مدائح هي النسيم رقة، و الماء سلاسة و عذوبة، و منه قول ابن شهيد من خلال قصيدة يمدح بها أحد خلفاء بني عامر إذ ينشد:[35]

و غمام باكرتنا غيمة تترع الأفق بدمع صيب

مثل بحر جاءنا من فوقنا جرمه من لؤلؤ لم يثقب

فسألناه و قد أعجبنا حشوه العين بمرأى معجب

أنت ماذا؟ قال مزن علمت كفه النفحة كفا درب

رامني بالشرق أن أسقيكم رحمة منه بأقصى المغرب

---

[32] السبسب، المفازة، الأرض المتوية الممتدة بعيدا.
[33] الهاشمان، هشام بن عبد الرحمن (الداخل) وهشام بن عبد الملك.
[34] عبد العزيز محمد عيسى
[35] عبد العزيزمحمد عيسى المرجع السابق ص 142.

فسألناه: أين ذلك لنا قال هل يخفى ضياء الكوكب؟

ملك ناصب من خالفكم عامري المنتمى و المنصب

ومن بديع ذلك ورقيقه قول ((أبي جعفر أحمد بن عبد الله المعروف بالأعمى "التطيلي"يمدح محمد بن الحضرمي)):[36]

سجايا على مر الزمان كأنما هي المزن فيها رحمة و عذاب

موارد فيها سم كل معاند و لكنها للمستفيد عذاب

مخوفتي ريب الزمان و قد حدث برحلي إلى ابن الحضرمي ركاب

إذا الله سنى لي لقاء محمد تفتح دوني للسماحة باب

–فتى لم تسافر عنه امال امل وكان لها إلا إليه إياب

–له همم في الجو دو البأس لم تزل لها فوق أتياح النجوم قباب

– وأقسم لو لا ماله من مآثر لأصبح ربع المجد وهو يباب

وهذا التطيلي يقول مادحا (أبي الحزم بن جهور):[37]

وانت أحق الناس بالحزم فأته وحق العلا بالمال أشبه بالحزم

وأنت بعبد الهم مقترب الجدي كريم السجايا ماجد الخال والعم

[36] نفسه ص 143.
[37] عبد العزيز محمد عيسى، المرج السابق ص 143.

و أحفى بالباب الرجال من الهوى وأخفى وراء الحادثات من الوهم

وكذا قول محمد بن هانئ يمدح إبراهيم بن جعفر بن علي: [38]

–قد مررنا على مغانيك تلك فرأينا فيها مشابه منك

– عارضتنا المها الخواذل أسرا با بأجراعها فلم نسل عنك

لا يرع للمهابد أرك سرب فلقد أشبهتك إن لم تكنك

مسعدي عج فقد رأيت معاجي يوم أبكي على الديار وتبكى

بحنين مرجع كحنيني وتشك مردد كتشكي

وفيها يقول:[39]

لا أرى كابن جعفر بن علي ملكا لابسا جلالة ملك

نتفادى القلوب منى وجيبا في مقام على المتوج ضنك

وقوله يمدح الأمير طاهرا، وأبا عبد الله الحسين ابني الإمام المنصور والد المعز لدين الله في قصيدة مطلعها:[40]

امسحوا عن ناظري كحل السهاد وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد

[38] نفسه ص 143.
[39] نفسه ص 144
[40] عبد العزيز محمد عيسى، المرج السابق ص 144.

أو خدوا مني ما أبقيتموا لا أحب الجسم مسلوب الفؤاد

هل تجيرون محبا من هوى أو تفكون أسيرا من صفاد

أسلوا عنكم أهجر كم قلما يسلوا الماء عن الصواد

وفيها يقول: [41]

ياأميري أمراء الناس من هاشم في الرأد منها و المصاد

وسليلي ليتها المنصور في عيلها من مرهفات و صعاد

يا شبيهيه ندى يوم ندى وجلادا صادقا يوم جلاد

إنما عودتها في ذا الورى عادة الأنواء في الأرض الحماد

شعر الأدب و الحكمة:

وصف ابن عبد ربه رجلا بالأدب الجم و السلوك الحسن فقال:

أدب كمثل الماء لو أفرغته يوما لسال كما يسيل الماء[42]

لم تجر العادة بذكر موضوع الادب ووصايا الأبناء، فكثير مما يقال في هذا الباب يجيء جافا تعليميا، بعيدا عن سمات الشعر الذي يكتسي جماليات الفن، غير أن هناك من شعراء الاندلس

[41] نفسه 144.

[42] يصفه بالرقة و اللطافة و سهولة العشرة

من ارتاد هذا الجانب فجاء بشعر رقيق لطيف، جمع بين الجانب الوعي التعليمي وبين الأداء الشعري الجيد الذي يحتفظ بشخصية الشاعر، وبخصوصية الشعر.[43]

وأول من نقف عند أشعاره، " يحي بن حكم الغزال " يقول:[44]

لعمري ما ملكت مقودي الصبا فأمطق للذات في السهل والوعر

و لا أنا ممن يؤثر اللهو قلبه فأمسي في سكر و أصبح في سكر

إلى أن يقول:

كفاني من كل الذي أعجبوا به قليلة ماء تستقى لي من النهر

ففيها شرابي إن عطشت و كل ما يريد عيالي للعجين و للقدر

بخبز و بقل –ليس لحما– و إني عليه كثير الحميد لله و الشكر

و من القصيدة:[45]

أخي ! عد ما قاسيته و تقلبت عليك به الدنيا من الخير و الشر

فهل لك في الدنيا سوى الساعة التي تكون بها السراء أو حاضر الضر؟

والقصيدة سهلة الالفاظ، واضحة المعاني...

[43] الداية محمد رضوان، في الادب الاندلسي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق- سوريا- ط1-2000م ص 72.
[44] الداية محمد رضوان، نفسه ص 106.
[45] الداية محمد رضوان، نفسه ص 10.

الفصل الأول

شعر الغربة والحنين وعوامل ذيوعهما في الاندلس

الغربة و الحنين باب قديم في الشعر العربي و لكن الأندلسيين ضربوا فيه بسهم وافر، و صدروا فيما نظموه فيه عن عاطفة صادقة، عاطفة حزن و أسى و تحسر، فليس أعز على المرء من وطنه، خاصة إذا كان وطنه جنة خضراء كالأندلس و مهد حضارة و عمران، و مكان عز و سلطان، لذلك جاءت العاطفة صادقة نابعة من قلب مؤمن بالله محب للوطن[1]، و إحساس مرهف و نفوس معذبة، تجر عن مرارة الغربة، فكان حنينهم إلى الاندلس من أصدق ما قيل في هذا الباب، و أبلغه على مر العصور.

لقد قدر على الأندلسيين أن يعيشوا محنة اغتراب مريرة بعد انتثار عقد الأندلس و سقوط معظم مدنه في أيدي النصارى، فقوض كثير من الأندلسيين خيامهم، و رحلوا عن وطنهم، و تركوا معاهدهم و ديارهم و فارقوا أهلهم و أحبابهم إلى غبر رجعة، و تقاذفتهم البلاد و ذاقوا مرارة التشتت و الضياع، فألقى بعضهم عصا السيار في المغرب، و رحل بعضهم إلى المشرق، و كانت تجربة الغربة عميقة في نفوسهم فجرى على لسانهم شعر كثير يصور هذه النزعة، و يصف ما كان يضطرم في نفوسهم من مشاعر الشوق و الحنين إلى ديارهم و أحاسيس الشاعر المغترب الذي فجع بضياع وطنه، و غدا فريسة سائغة بين أنياب الزمان.[2]

[1] مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عيد، حسين حسن قطناني، مختاران من الشعر العربي القديم، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان –ط2- 2014م-ص 174.

[2] فوزي عيسى، الادب الاندلسي، النثر، الشعر، الموشحات، دار المعرفة الجامعية دط، دت، ص 103.

الحنين لغة و إصطلاحا

أ) لغة:

بالرجوع إلى جذر كلمة (الحنين) وهو الفعل الثلاثي (حنن) الذي طرأ عليه التضعيف لغير زيادة، فأصبح (حن) وتصريفه حن، يحن، حنينا.

حنن: الحنان: من أسماء الله سبحانه وتعالى، وقال ''ابن الاثير"، الحنان، الرحيم بعباده.[1]

حن، يحن، حنانا، قال تعالى: " يايحيى خذ الكتاب بقوة و ءاتيناه الحكم صبيا (12) و حنانا من لدنا و زكاة و كان تقيا13"[2]

الحنين: البكاء الشديد أو الشديد البكاء والطرب، وقيل: صوت الطرب سواء أكان فرحا أو حزنا، والحنين هو الشوق والاشتياق وتوقان النفس.

حنت الإبل: نزعت إلى أوطانها أو أولادها، والناقة تحن في إثر ولدها حنينا، أي تطرب مع صوت، وقيل حنينها، ونزاعها بصوت وغير صوت، والأكثر أن الحنين بالصوت.

و تحنت الناقة على ولدها: تعطفت.

أصل الحنين: ترجيح الناقة صوتها إثر ولدها.

المستحن: الذي استحنه الشوق إلى وطنه.

أما في القاموس المحيط: حنن: الحنين ، الشوق، و شدة البكاء.

[1] ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ج5، دار المعارف، مصر/ 1979.
[2] سورة مريم، الايتان 12-13.

حن، يحن، حنينا، استطرب، فهو حان. كاستحن و تحان [1]

و الحنان: الرحمة ورقة القلب.

و الحنان: من يحن إلى الشيء، اسم الله سبحانه و تعالى: و معناه الرحيم.

و تحنن: ترحم، و الحنون: الريح لها حنين كالابل.

ومن هذا كله، يتضح لنا أن كلمة: حنين تدل على صوت، تشوق، طرب رحمة و عطف.

هذا من الجانب اللغوي

الجانب الاصطلاحي

الشوق و توقان النفس، إذ أنه يكشف عن مدى معاناة الانسان بديار الغربة.[2]

" فالحنين رحلة في الزمان و دعوة إلى الوراء لمعايشة الماضي شعرا و استرجاعه، و استحضاره على مستوى المكان و الأهل و الوقائع"[3]

إدن فالحنين هو الانتماء الى شيء مفقود سواء أكان ماديا أو معنويا و يبقى دواء و عزاء للغزباء في غربتهم.

[1] الفيروز أبادي، محمد الدين القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1406هـ ، ط1، ص 630.
[2] مها روحي إبراهيم الخليلي، الحنين و الغربة في الشعر الاندلسي، عضر سيادة غرناطة (635هـ-897ه) فلسطين 2007 ص 18.
[3] طحطح، فاطمة، الغربة و الحنين في الشعر الاندلسي، ط1، الدار البيضاء، منشورات كلية الادب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، 1993- ص 35.

مفهوم الغربة و الاغتراب:

أ) لغة:

يذكر " ابن منظور" في لسان العرب معنى (غرب) (غ.ر.ب)[1] أن الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس، وغرب عنه يغرب غرباء وغرب، وأغرب، وأغربه، نحاه، والغربة والغرب، البعد والنوى، ويقال أغربته وغربته إذ نحيته وأبعدته.

وفي الحديث (الشريف أني نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر بتغريب الزاني إذا لم يحصن، أي نفيه عن البلاد، ونوى غربة بعيدة، وغربة النوى بعدها.

ونقول دراهم غربة أي نائية، والنوى المكان الذي تنوي أن تأتيه في سفرك، وشأو مغرب (بفتح الراء) ومغرب، بعيد، قال الكميت:

أعهدك من أولى الشبيبة تطلب على دبر هيهات شأو مغرب

(بحر الطويل)

الغربة والغرب: النوى والبعد، وقد تغرب، قال ساعدة بن جؤية يصف سحابا.

ثم (انتهى بصري وأصبح جالسا منه لنجد طائف متغرب، ويقال غرب في الأرض وأغرب، إذا أمعن فيها، قال ذو الرمة أدنى (ثقافة) تقاذفته التغريب و الخيب ويروى في التقريب.[2]

واستغرب واستغرب وأغرب: بالغ في الضحك غرب: (الغرب): الدلو العظيم من مسك ثور، ومنه قوله فيما يسقى بالغروب.

[1] إبن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف، مصر، 1979 ص 21.
[2] أبو الفضل جمال الدين بن منظور المصدر السابق، مادة غريب

والغرب أيضا: عرق في مجرى الدمع يسقى فلا ينقطع مثل الناسور، وعن الاصمعي بعينه غرب، إذا كانت تسيل فلا تنقطع دموعها، وغربه، إذا أبعده، ومنه جلد مائة وتغريب عام، وغرب: بعد ومنه كل مغربة.

الغارب: الكاهل ويقال أصابه سهم غرب وسهم وغرب: لا يدري راميه، والغريب: رجل ليس له القوم ولا من البلد غرباء.[1]

الغربة إصطلاحا:

الاغتراب والغربة ظاهرة قديمة جديدة، لم ترتبط بوقت محدد، أو حقبة زمنية معينة، إلا أنها تزداد في فترات يكثر فيها الاضطراب والقلق، وعدم الاستقرار في أوضاع المجتمع السياسية، الاجتماعية والاقتصادية.

الغربة تعني – من الناحية الاصطلاحية–النزوح عن الوطن، أو البعد والنوى، أو الانفصال عن الاخرين[2]، وفي معنى آخر، لمفهوم الاغتراب هو الشعور بفقدان الصلة الأساسية بين عالم الوقائع وعالم الحلم، وهو ناتج عن النقائص والتعارض، والتصادم بين الواقع كما هو موجود وبين الحلم كما هو مطلوب، ومن هنا يشعر المرء بوعي هذا التناقض ويغترب روحيا عن الواقع كنتيجة وعيه بزيف الواقع، وفي محاولة لإعادة هذه العلاقة المفقودة.[3]

[1] ضيف شوقي، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م، مادة غرب
[2] إبراهيم الخليلي/ مها روحي، الحنين و الغربة في الشعر الاندلسي- عصر سيادة غرناطة، (635-897هـ) فلسطين 2007-ص 25.
[3] المرجع السابق ص 25

كما يعرف بأنه عاطفة تستولي على المرء، وهو حالة من الشعور بأن العالم هو سجن أقحم فيه مرغما، مما يجعله يعيش في قلق وكآبة لشعوره بالبعد عما يهواه أو يرغب به.[1]

والتغريب: النفي عن البلد والتغرب: البعد

وفي الحديث، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: " إن امراتي لا ترد يد لا مس، قال: غربها، أي أبعدها، يريد الطلاق، والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب.

– الاغتراب والتغرب، كذلك تقول منه: تغرب، اغترب، وقد غربه الدهر، ورجل غرب (بضم الغين والراء)، وغريب بعيد عن وطنه، الجمع: غرباء، والانثى غريبة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الغرباء فقال: الذين يحبون ما أمات الناس من سنتي[2].

وفي حديث آخر أن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء[3]، أي أنه كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل عنده، لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريبا كما كان، أي يقل المسلمون في آخر الزمان فيصبرون كالغرباء، فطوبى للغرباء.

أي الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره.

و اغترب الرجل نكح في الغرائب، و تزوج إلى غير أقاربه، و الاغتراب، افتعال عن الغربة، و اغترب الرجل، صار غريبا، و رجل غريب، ليس من القوم، و تثنيته غربان، قال طهمان بن عمرو الكلابي.

[1] نفسه ص 25.
[2] إبن قيم ، الجوزية، مدارج السالكين، القاهرة، 1292 هـ ط1، ج2، ص 122.
[3] المرجع نفسه ص 123.

و إني و العيسي في أرض مذحج غريبان شتى الدان مختلفان

و ما كان غض الطرف منا سحية و لكننا في مدحج غربان

(بحر الطويل)

والتغرب: الذهاب (بالفتح) والغرب، النوى والبعد، وأيضا الغرب والغربة، النزوح عن الوطن، والتغريب، النفي عن البلد[1]. التغريب: (النفي عن البلاد، وأيضا غرب، بعد، وأغرب عني اي تباعد[2].

أنواع الاغتراب:

أ) **الاغتراب النفسي:** رغم شيوع مفهوم الاغتراب النفسي إلا أنه من الصعب تخصيص نوع مستقل يطلق على الاغتراب النفسي نظرا لارتباطه بجميع أبعاد الاغتراب الأخرى كالثقافي والسياسي والاجتماعي.

فالاغتراب النفسي مفهوم شامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للضعف أو الانهيار، كما يشير إلى النمو المسوه إلى الشخصية الإنسانية، حيث يفتقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة.[3]

ويتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية في الجوانب التالية:

[1] الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة غرب، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، مج1، ص 404-412.
[2] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية مادة غرب
[3] دخموش فتيحة، تجزئة الغربة و الحنين في شعر ابن خفاجة الاندلسي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005- ص 17.

– حالات عدم التكيف التي تعانيها الشخصية، من عدم الثقة بالنفس والمخاوف المرضية والقلق والإرهاب الجماعي.

– غياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية.

– ضعف أحاسيس الشعور بالهوية والانتماء والشعور بالقيمة والإحساس بالأمن.

– يرى واين (white) أن الاغتراب النفسي هو اغتراب عن الذات أيضا حيث يرتبط ارتباطا موجبا بالاغتراب عن المجتمع، ومنهم من يذهب إلى أن الاغتراب هو غربة عن الذات.[1]

ويرى Erikson (إيريكسون) أن الاغتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية، وما ينتج من أعراض (الفرد الذي لم تحدد هويته بعد يعتبر مغتربا لأنه يفتقد الإحساس بالأمن الناتج عن عدم تحديد الهدف المركزي.[2]

2) الاغتراب الزماني:

يعد من الأمور الغامضة لأن الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت نسبيا، أما الزمان فمتغير وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر غموضا.

إن موضوع الزمان كغيره من المواضيع الأخرى قد أخذ قسطا وافرا من الاهتمام والمعالجة لمدى الشعراء، وهذا ما نجده عند الشاعر (أبي العلاء المعري) في قوله:

[1] محمد خليفة – عبد اللطيف- دراسات في سيكولوجية الاغتراب- دار الغربي- القاهرة- 2003- ص 20.
[2] جديدي، زليخة، الاغتراب- مجلة العلوم الإنسانية، جامعة وادي سوف، ط1 ع8 (د.ط) الجزائر- جوان 2012 ص 12.

نزول كما نزل أباؤنا و يبقى الزمان على ما ترى

نهار يمر و ليل يكر و نجم يفور و نجم يرى[1]

فأبو العلاء يحدثنا عن الزمان، فيذكر لنا زمانين، أحدهما زمان سرمدي، والآخر زماننا أي عمرنا.

و من ذلك أيضا قول (ابن حمديس الصقلي) و قد خرج من بلده إثر:

تدرعت صبري جنة شوائب فإن لم نسالم يا زمان فحارب

عجمت حصاة لا تلين لعاجم و رضت شموسا لا يذل لراكب

كأنك لم تقنع لنفسي بغربة إذا لم أنقب في بلاد المغارب

أتحسبني أنسى، و ما زالت ذاكرا خيانة دهري أو خيانة صاحبي.[2]

3) الاغتراب المكاني:

الغربة المكانية تتمثل في البعد عن الأهل والوطن اضطرارا أو اختيارا لأسباب اقتصادية أو سياسية وحتى علمية، ومازالت النفسية العصبية من أبعد العصور كما هي بمقوماتها، لم يدل فيها الزمن كثيرا، فالعربي مازال يخشى فراق الأرض التي نشأ فيها، الزمن كثيرا، ويحس بالحنين والغربة أينما اتجه فالنفي يفزعه والهجرة تضنيه.

[1] خليفي عثمان، هجيرة، المرجع السابق ص 19.
[2] نفسه ص 19.

ومنذ الجاهلية بدأت تتضح ملامح الاغتراب المكاني وتتحدد عند بعض الشعراء على ذكر الديار والأطلال، بل صارت تتضح ملامح الأرض وحدودها ومرابعها ومغانيها، ويصحبها ذكر الشوق والحنين إليها، وإلى أيام الحب والصفاء، فهذا امرؤا القيس حيث توجه إلى بلاد الروم كان يحن الى الاهل والوطن، وكلما وصل مدينة أو جاورها كابدته حسرة على فراقها، يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم:

سما لك شوق بعدما كان أقصرا و حلت سليمى بطن قوف عرعرا

كنانيه بانت و في الصدر و دها مجاورة عمان و الحي يعمرا[1]

كما نجد الاغتراب المكاني عند أبي العرب الصلقي الاندلسي " مصعب بن أبي الفرات (423هـ-508هـ) الذي قال:

و يا وطني إن بنت عني فإنني سأوطن أوكارا العتقاق النجائب

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي كل العالمين أقاربي[2]

بل كان يتمثل وطنه في كل شيء يراه على أرض الغربة، وآية هذا ما أحسه حينما رأي النيلوفر نابتا في الاندلس، فهاجت ذكراه الى وطنه في نفسه فقال:

هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه كلانا عن الأوطان أزعجه الدهر[3]

[1] الجبوري يحي، لمصدر السابق، ص 21.
[2] خليفي عثمان، هجيرة، المرجع السابق ص 15.
[3] نفسه ص 15.

و هذا ابن هشام القرطبي نظرة الناس للنازح العربي و عدم ترحيبهم به، و ليتمسك بالبقاء في وطنه، و يرفض النزوح لأي سبب من الأسباب فيقول:

يا آمري أن أحث العيش عن وطني لما أرى الرزق فيه ليس يرضيني

نصحت لكن لي قلبا ينازعني فلو ترحلت عنه حله دوني

هذا يقول غريب ساقه طمع و ذاك حين أريه البر يجفوني[1]

الغربة من المشاعر الفطرية في النفس الإنسانية " وهي تختلف من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، وذلك لأنها تتلون بطبيعة صاحبها، وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر، وما يحتويه من قيم أو أعراف ومعارف، والغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المصطلح والمفهوم، وبينما اتخذت لها صورا معمقة في العصر الحديث، بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسبب التعريفات الكثيرة التي وضعت لها"[2].

" إن هذا المصطلح العربي يفيد في أكثر معنى البعد عن الوطن، والفراق عن الأهل، وهو معنى مكاني أكثر منه زماني"[3].

[1] عيسى فوزي، الشعر الاندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء الاسكندري، ط1 2008 ص 160-161.
[2] بوقرورة، عمر ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962) مركز منشورات جامعة باتنة الجزائر- د.ت ص 13.
[3] بوقرورة، عمر، المرجع السابق ص 14.

" ومازالت النفسية العربية من أبعد العصور، كما هي كما هي بمقوماتها لم يبدل فيها الزمن كثيرا، فالعربي ما يزال يخشى فراق الأرض التي نشأ فيها، ويحس بالحنين وبالغربة أينما اتجه، فالنفي بفزعه والهجرة تصنيفه"[1].

وقد اختلفت تعريفات الاغتراب في العصر الحديث، فمن الصعب تحديد مفهوم واحد، فهو قد يعني انعدام السلطة أو العجز أو الانفصام عن الذات، أو انعدام المغزى في الحياة والإحباط.

والاغتراب لدى الفلاسفة الغربيين بمفهومه يختلف حسب اختلاف تلك الفلسفات والمذاهب، فـ(هيغل)، مثلا يرى الاغتراب في " أن يضيع الإنسان بشخصيته الأولى، ويصير إنسانا آخر"[2].

و هو عند (ماركس) " أن يفقد الإنسان حريته و استقلاله الذاتي، بتأثير الأسباب الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية و يصبح ملكا لغيره، أو عبدا للأشياء المادية، تتصرف السلطات الحاكمة فيه تصرفها في السلع التجارية"[3].

أما الوجوديون، فالاغتراب عندهم هو " البعد عن الوجود العميق للإنسان فعند الوجوديين أن الإنسان هو حرية"[4].

[1] فهمي، ماهر حسين، الحنين الغربة في الشعر العربي الحديث، دط، مصر مطبعة الجبلاوي 1970 ص 37.
[2] دخموش فتيحة، المجع السابق ص 14.
[3] نفسه ص 14.
[4] طحطح، فاطمة، الغربة و الحنين في الشعر الاندلسي، ط1، الدار البيضاء، منشورات كلية الادب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، 1993- ص 34.

الغربة والشعر

لطالما كان الشعر هو التعبير عما يجول في ذهن وقلب الشاعر من مشاعر وتأملات في واقعه وحياته ، فقد أخذ موضوع الغربة والحنين بشكل عام حيزا كبيرا في الشعر العربي على مدى العصور ، فقد حفل الشعر الجاهلي من الصور المعبرة عن غربة الشاعر الزمنية والمكانية فضلا من النفسية ، وتشكل الأطلال و الوقوف عليها في الجاهلية مادة غزيرة في هذا الموضوع ...

واستمرت فكرة الغربة تجدب الشعراء في العصور الأخرى كالعصر الإسلامي والعصر الأموي فقد عالجها العديد من الشعراء وبشكل خاص شعراء الغزل العذري الذين عبروا وصور من خلالها الأبعاد والحرمان من المحبوبة، مما جعلهم يعيشون أحاسيس الغربة. ولم يختلف الأمر كثيرا في العصر العباسي. إذ لم تغب الغربة عن الشعراء الذين عانوا من انعكاساتها فصوروها في أشعارهم وأبدعوا في تجسيدها، (فأبو تمام) الذي عرف بكثرة ترحاله يصور هذه الغربة قائلا:[1]

–دع الفراق فإن الدهر ساعده فصار أملك من روحي بجثماني

–فمثل هذا التصوير نجده لدى الكثير من الشعراء على مر العصور الذين عانوا ألوان الغربة في حياتهم، والصعوبات التي حالت بينهم وبين الوطن او الحبيب حتى أصبح صعب المنال أو أمرا مستحيلا.

[1] شرح ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التريري، تح راجي الأسمر دار الكتاب العربي 1994 ج2 ص 235.

الغربة والحنين في الشعر العربي

الحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية عامة، لا يستطيع المرء التخلي عنها، مهما بلغ رقيه الحضاري وتطوره الهادي وسموه الروحي، فإن الحنين بكل طاقاته (يعني حياة السرور والبهجة، والفرح لأنه يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر في ساعة من ليل أو نهار، وإذا كانت الغربة تعني البعد و النوى، فإن الحنين يعني القرب والعودة تفصل بينهما لحظة زمنية معينة، والحنين عاطفة سامية أودعها الله سبحانه وتعالى، في الإنسان مند الأزل، وهي الإحساس والشوق لولاها لقعد الإنسان عن أماله ونكض على نفسه.[1]

الحنين أيضا: "رحلة في الزمان، وعودة إلى الوراء لمعايشة الماضي شعرا، واسترجاعه واستحضاره على مستوى المكان والأهل والوقائع"، وما يدفع بالشعراء إلى الغربة الى الوراء هو حاضرهم السيئ الذي يحاولون نسيانه بالعودة إلي ماضيهم السعيد.

وقد أشار الناقد القديم (حازم القرطاجني) إلى الحنين دون أن يذكره بالاسم وهو يتحدث عن (أحسن الأشياء التي تعرف، ويتأثر لها، أو يتأثر بها إذا عرفت، وهي الأشياء التي فطرت النفوس على استلذادها، أو التألم منها، أو ما وجد فيه الحالات من اللذة والألم كالذكريات للعهود الحميدة، المنصرمة التي توجد النفوس، تلتذ بتخيله وذكرها، وتتألم من نقضيها وانصرامها ...)"[2]

وشعر الحنين والغربة يرتبط بالوجود الإنساني في كل زمان ومكان ومن هنا فهو أكثر الأغراض اتصالا بالنفس الإنسانية يشترك فيه العامة والخاصة وهذا اللون من الشعر ليس بالموضوع الجديد

[1] بوقرورة، عمر ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962) مركز منشورات جامعة باتنة الجزائر- د.ت ص 13.
[2] دخموش فتيحة، المرجع السابق ص 16

هي الأدب العربي قديمة وحديثه، فظاهرة الحنين إلي المكان والزمان الممثلين في الطلل بارزة في الشعر الجاهلي ويكفي الوقوف على معلقات العرب الإدراك ذلك ، فوقوف الشاعر على الطلل كان يمثل له حياته السابقة التي عاشها بكل ما فيها كما كان يمثل له في الوقت ذاته رمز لفنائه ، ولذلك كان بكاؤه على الوطن بكاء على ماضيه من خلال حاضره ، وتعبيرا عن حبه الجامع للحياة التي يهددها الدهر بالأقوال و الفناء ن ومن ثم كان في تناوله للطلل يحاول أن يتخذ بكل شيء له بالماضي رغبة منه في الإنفصال عن الواقع[1]

الغربة والحنين في العصر الجاهلي

الشاعر الجاهلي عزيز في أهله، كان دائما ينادي أهله وديارة، فهو غريب، ذليل مهان، وقد عبر (عمر بن هبيرة) عن هذا الهوان في قوله: [2]

–ومن تك في غير العشيرة داره يغصب فنبرد غير مرضى مغاصبه

–يرى كل صوت منهم فوق صوته ولا يجبوا منه الذي هو واجبه

–ويذكر عليه إن أراب بحطة ولا يستطيع تنكير ماهو رائبه

–وحب الأوطان عميق في نفس (عنترة بن شداد) فهو مقرون بحب الأولاد و الحنين إليه كحنينه إلى الأولاد وإلى حبيبته (عبلة)

أحرقتني نار الجوى والبعاد بعد فقد الأوطان والأولاد

[1] الجيلالي سلطاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب و الاندلس، رسالة ماجستير- جامعة دمشق 1987 – ص 210.
[2] الجبوري، يحيى، الحنين و الغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، ط2 -1428هـ/2008م –الأردن – ص 22.

شاب رأسي فصار أبيض لونا بعدما كان حالكا بالسواد

وتذكرت عبلة يوم جاءت لوداعي والهم والوجد بادي

ونلمح ألوان أخرى من الاغتراب في الشعر الجاهلي كالغربة عن المجتمع و قيمة فهو واضح عند كثير من الشعراء أمثال طرفة بن العبد) الذي عاش ظروف قاسية في حياته ، وهذا ما أدى به إلى الشعور بالاغتراب ، وهذا ما سنستشفه في قوله:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وهذا (امرؤ القيس) أول من بكى على الأطلال إذ يقول في مطلع قصيدته :[1]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

وهو إنما يفعل ذلك لإحساسه بالغربة والارتباط بالطلل بأجمل الذكريات في نفسه ، وهاهو يعني لوعة الغربة وهو بعيد عن وطنه في قوله: [2]

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما اقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

[1] دخموش فتيحة، المرجع السابق ص 17.
[2] نفسه ص 17

في العصر الإسلامي:

لقد ظل شعر الحنين والاغتراب واضحا في الشعر الإسلامي، وذلك نتيجة انضمام الشعراء إلى حركة الفتوحات الإسلامية، بداية التغرب الحقيقي عن أرض الجزيرة العربية بشكل كبير، فقد كان هناك دوافع عديدة للاشتراك ضمن القوافل أهمها. الدافع الديني فقد لبى داعي الجهاد في سبيل الله الألاف من المسلمين طاعة لله وابتغاء رضوانه (3)، وخير مثال لهذا الشعر (مالك ابن الريب) في قوله في قصيدته الشهيرة التي قالها بخراسان: [1]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الفضا أزجي القلاهي النواحيا

ألم ترني بعت الضلالة بالهدى و أصبحت في جيش ابن عفان غازيا

لعمري لئن غالت خراسان هامتي لقد كنت عند باب خراسان نائيا

فيا صاحبي رحلى دنا الموت فاحفرا برابيـــــة إني مقيم لياليـــــا

و خطا بأطراف الالسنة مضجعي وزدا على عيني فضل ردائيا

و لا تحسداني بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض توسيعا ليا

تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى السيف و الرمح الرديني باكيا

أقلب طرفي في رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيا

و بالرمل منا نسوة لو شهدنني بكين و فدين الطيب المداويا

[1] خليفي عثمان، هجيرة، الاغتراب في الشعر الاندلسين عصر غرناطة أنموذجا، جامعة أبوبكر بلقايد- تلمسان- 2015-2016- ص 26.

فمنهن أمي و ابنتاي و خالتي و باكية أخرى تهيج البواكيا

فالشاعر هنا يصف حاله حين شارف على الموت لا يتمنى سوى زيارة البلاد وينام فيها ليلة واحدة فقط، وحنينه إلى أهله وأحبابه ومن الشعراء أيضا "عمر بن أبي ربيعة" الذي كتب إلى الثريا مشتاقا يقول:[1]

كتبت إليك من بلدي كتاب موله كمد

كتيب وادف العيني ن بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشو ق بين السحر والكبد

فالشاعر في هذه الرسالة يصف شوقه وحنينه إليها في أسلوب أنيق يشير من خلاله إلى صدق عواطفه التي تبدو حساسة، لأن الشوق أحزنه وأدمع عينه وأرقه مما اضطر الشاعر للكتابة تعبيرا منه عن ألمه.

في العصر الاموي:

إن الحياة الدينية طورت الشعر الاموي، و أثرت أثرا عميقا في نفوس الشعراء، فقد أخذوا يستخدمون بعض المعاني و الالفاظ الإسلامية كي يؤثروا في قلوب من يحبون، فكثر الشعر الذي يذكر بالغربة و الاغتراب و الحنين إلى الاهل و الأوطان، و قلما نجد شعرا يخو ديوانه من ذكر الغربة و الشكوى من النأي و البعد و الشوق، و يهاجر المسلمون من مكة في الإسلام، و لكنهم يحنون إليها و يتمنون العودة إليها، فهي الأرض و الوطن، و فيها بيت الله الحرام، فكان (ابن مكتوم

[1] خليفي عثمان، هجيرة، المرجع السابق ص 26.

بن عمرو بن قيس (ت 23 هـ) آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو يطوف و يتغنى بحب مكة:

يا حبذا مكة من وادي أرض بها أهلي و عوادي

أرض بها ترسخ أوتادي أرض بها أمشي بلا هادي[1]

وقد تكون غربة الصعاليك غربة بسبب السياسة والخروج على الدولة أو جور السلطان، وتكون الجبال والصحراء ملاذا لهم، وهذا ما كان من أمر مالك بن الريب (ت 60) الذي كان يخير الحكام بن مروان بين أن ينصفوه أو لن يخرج عليهم، وأرض الله واسعة يغترب فيها وتنجيه من الذل:

فإن تنصفوه بآل مروان نغترب إليكم و إلا فأدنوا ببعاد

فإن لنا منكم مراحا و مرحلا يعيش على ريح الصلاة صوادي

و في الأرض عن دار المذلة مذهب و كل بلاد أوطنت كبلادي[2]

ومن شعراء العصر الأموي (جرير) الذي كثر الحنين والاغتراب في شعره خاصة الوقوف والبكاء على الاطلال –رغم–نبوغه في الهجاء إن يقول:[3]

تباعد من مزاري أهل نجد إذا مرت بذي خشب ركابي

[1] الجبوري يحى، المصدر السابق ص 52.
[2] الجبوري يحى، المصدر السابق ص 55.
[3] خليفي عثمان، هجيرة، المرجع السابق ص 29.

غريبا عن ديار بني تميم و ما يخري عشيرتي اغترابي

في العصر العباسي:

قل شعر الاغتراب و الحنين إلى الأوطان في العصر العباسي نسبة إلى العصرين الجاهلي و الاموي، و ذلك لاستقرار و اتساع المدن و انتشار الحضارة و اختلاط الشعوب، فكانت بغداد ذرة (العواصم و ملتقى الثقافات، و أصبحت الحياة المدنية بعيدة عن البداوة التي كانت مصدر الشوق و الحنين، ومع ذلك كانت هناك بعض الأصوات التي تحس بالحنين عند الفراق او الهجرة و البعد طلبا للرزق، و من بين الشعراء العباسيين الذين حنوا إلى أوطانهم و اشتاقوا إلى مرابع صباهم، " ابن صيادة (ت 149) الذي يشتاق إلى البادية و يحن إلى حرة ليلى بديار قيس، و قيل لبني عوف من الذبيان:[1]

إلا ليت شعري هل أبيتن ليلة بحرة ليلى حيث ربتني أهلي

بلاد بها نيطت على نمائمي و قطعن عني حين أدركني عقلي

و هل أسمعن الدهر أصوات هجمة تطالع من هجل خصيب إلى هجل

ويحن '' أبو حية النميري" (ت 82) إلى أرضه وأهله بالغوير ويتمنى أين يسعد مع أحبابه بنسائم بلده:[2]

– ألا هل نص النواعج بالضحى و شتم الخزامي بالغوير سبيل

[1] الجبوري يحى، المصدر السابق ص 103.
[2] خليفي عثمان، هجيرة، المرجع السابق ص 24.

بلاد أمسى الهوى غير أنني أمين مع المقدار حيث يميل

وهذا "أبو فراس الحمداني" عرف غربة اجتماعية قاسية لما لقاه من جفاء الأهل وخيانة الأصدقاء، يقول:[1]

إلى الله، أشكو عصبة من عشيرتي يسيئون لي في القول غيبا و مشهدا

و يقول أيضا:[2]

غريب و أهلي حيث ماكر ناظري و حبد و حولي رجال عصائب

وعندما يصور غربة الأصدقاء الذين قل وفاؤهم يقول:[3]

و لما تخيرت الأخلاء لم أجد صبورا على حفظ المودة

سليما على طي الزمان و نشره أمينا على النجوى صحيحا على البعد

ولعل خير مجسد للغربة في العصر العباسي، الشاعر (أبو الطيب المتنبي) الذي يرى أن غربته هذه لا تختلف عن غربة الأنبياء، يقول:[4]

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

[1] خليفي عثمان، هجيرة، المرجع السابق ص 25.
[2] نفسه ص 25.
[3] نفسه ص 25.
[4] دخموش فتيحة المرجع السابق ص 18-19

و نقف مع أبي الطيب أيضا شاكيا من غربتين الأولى غربة الوجه و الثانية غربة اللسان في قوله:[1]

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

و لكن الفتى العربي فيها غريب الوجه و اليد واللسان

في العصر الحديث:

فعندما نصل إلى العصر الحديث نجد ألوانا مختلفة لشعر الغربة والحنين، فهذا أمير الشعراء (أحمد شوقي) يعبر عن تمزقه وألمه الدفينين عندما نفي إلى إسبانيا، حيث يناجي هناك مصر وطنه:[2]

و سلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسى؟

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي

شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعة، ولم يخل حسي

وفي هذا العصر أيضا نجد اغتراب شعراء المهجر اللبنانيين الذين عانوا مرارة الغربة بعيدا عن أوطانهم وأهاليهم، وكذا الشعراء الرومانسيين أمثال (إيليا أبو ماضي) و (أبو القاسم الشابي) وغيرهما.

[1] نفسه ص 19.

[2] شوقي أحمد، الشوقيات، ط13 ، بيروت ، دار الكاتب العربي، 1422هـ 2001م – ج2- ص 46.

عرض تاريخي وموجز لشعر الغربة والحنين في الشعر الأندلسي:

نفس الإحساس بالغربة عن الوطن والحنين إليه في الشعر الأندلسي، بل وبحرارة أكبر وأشد، فمنذ أن دخل العرب فاتحون بلاد الأندلس، ظهر هذا التشبث بالوطن والتعلق به في أشعارهم، من ذلك ما نسب إلى " عبد الرحمان" من أبيات في الغربة يخاطب فيها نخلة مصورا غربته وحنينه إلى المشرق:[1]

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل

فقلت شبيهي في التغرب و النوى و طوال اكتئابي عن بني و عن أهل

نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الاقصاء و المنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي يسح و سيتمري السماكين بالويل

إلا أنه في المراحل الأولى من الوجود العربي بالأندلس، ليس هناك ما يفي بهذا الغرض من الشعر " فقد كان الشعر عبارة عن أبيات أو مقطوعات ينشدها هؤلاء العرب الأوائل يدور معظمها حول الخلافات السياسية والنزاعات القبلية والعنصرية وتسجيل تلك الوقائع والحروب التي كانت تشب بينهم..."[2].

أما في المرحلة الثانية التي تعد بداية ازدهار الادب الأندلسي والتي تشتمل الخلافة الأموية " فقد كانت المواضيع تتراوح بين مقطوعات في الزهد والنصائح والاعتبار وأحيانا نظرات مستخلصة

[1] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب د ط ، تح، إحسان عباس بيروت- دار صادر- 1408هـ/1988م –ج3-ص 54
[2] طحطح فاطمة، المرجع السابق ص 53-54.

خاطفة في الناس والزمان والحياة وغير هامة المشاعر الذاتية بالإضافة –طبعا–إلى المديح الرسمي والهجاء والفخر والغزل والتشوق"[1].

ولكن طغيان هذه الأغراض لم يمنع من ظهور هذا اللون من الشعر عند بعض الشعراء كحسان بن مالك، وعبد الله بن الخشني ولسليمان بن مهران السرقسطي وغيرهم، فحسان بن مالك أورد له الحميدي قصيدة في الحنين وذكر الأولاد:[2]

سقى بلدا، أهلي به أقاربي غواد بأثقال الحيا و روائح

و هبت عليهم بالعشي و الضحى نواسم من برد الظلال فوائح

تذكرتم و النأي قد حال دونهم و لم أنس، و لكن أوقد القلب لافح

و مما شجاني هاتف، فوق أيكة ينوح و لم أعلم بماهو نائح

فقلت أتئد يكفيك لأني لنازح أن الذي أهواه عني نازح

و لي صبية مثل الفراخ بقفرة مضى حاضناها فأصحتها الطوائح

إذا عصفت ريح، أقامت رؤوسها فلم تلقها إلا طيور بوارح

[1] طحطح فاطمة، المرجع السابق ص 54.

[2] الحميدي حذوة المقتبس. دط. تقديم السيخ محمد زاهر الحسن الكوثري تصحيح و تح محمد بن تاويت الطبخي، مكتبة الخانجي للنشر و التوزيع، ص184.

وحين حلت الفتنة القرطبية وتشرد على إثرها الناس وعدد من الشعراء، صدرت عنهم أشعار في الحنين إلى قرطبة ومعاهدها واماكنها الجميلة وإلى الأهل والأصدقاء وعندما تدفق هذا اللون من الشعر –شعر الغربة والحنين–

أسباب ذيوع شعر الغربة والحنين

يعتبر شعر الغربة و الحنين فنا من فنون الشعر العربي، ارتبط به منذ القدم، فقد كان للأندلس نصيب كبير في هذا اللون من الشعر نظرا للظروف القاسية التي تعرض لها الأندلسيون، فقد عرف الشاعر الأندلسي مظاهر الحنين، و شهد شتى أنواع الغربة فنجده يعاني الشوق و هو بعيد عن أهله ووطنه، كما نجده مفجوعا في غيابات السجون خلف القضبان،...و لعل أبرز أسباب ذيوع هذا الفن الشعري.

الرحلة:

معناه في اللغة: رحل، ارتحل، الترحيل، الارتحال، الارحال، بمعنى الاشخاص والازعاج، يقال: رحل الرجل: سار، ورجل رحول، وقوم رحل، أي يرتحلون كثيرا، الرحل: مركب للبعير والناقة، وارتحل البعير: سار ومضى، ورحل القوم عن المكان ارتحالا، والترحل والارتحال، الانتقال، والرحلة، اسم للارتحال والمسير[1].

وجاء في القاموس المحيط " رجل رحول، وقوم رحل، أي يرتحلون كثيرا، والارتحال، الوجه الذي تقصده والرحيل، اسم ارتحال القوم"[2].

[1] إبن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف، مصر، 1979 ج13.ص291-297..

[2] أبادي الفيروز مجد الدين، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت –لبنان- ج3-ص 383.

فالرحلة إذن تدل على الحركة والإنتقال، أما الرحلة في الإصطلاح فتعني الحركة لغرض ما، فقد نزلت الرحلة منزلة رفيعة، وأصبحت فنا من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم.

و الرحلة في الشعر العربي قديمة، فهي تبدأ في اغلب الاعم في قصائد الجاهلية، بمقدمات مختلفة، و لعل الشاعر الجاهلي قد تناولها من خلال وصف رحلة الظغائن على وجه الخصوص، و تفاوت هذا الوصف لدى الشعراء، فصور رحلته إلى الحروب، في حين أن الشاعر في العصر الإسلامي تناول الرحلة إلى الجهاد، و لم يهتم بالأنواع الأخرى من الرحلة، أما في العصر الأموي فقد وصف الرحلة على الديار الحجازية للحج، أو طلبا للعلم أو للحرب، كذلك الحال في العصر العباسي، فقد صور الشاعر– أيضا– رحلات الصيد، الرحلة إلى الأقطار العربية و غير العربية، طلبا للعلم، و ما إن أطل العصر الاندلسي، حتى كان للرحلة فيه مكانة عظيمة.[1]

فقد كان لها الأثر العميق في قلوب المهاجرين، فهم لم ينسوا أرضهم وأهلهم، وحلمهم بالعودة إلى الوطن دائم ظل يراودهم في اليقظة، كما في المنام، وهذا ما عرفه الشاعر الاندلسي (ابن الزقاق) في قوله:[2]

حننت إلى الديار حنين إلى الاحباب، ليس إلى الربوع

و لو أني أحن إلى مغاني أحبائي حننت إلى ضلوعي

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 32.
[2] خليفي عثمان، هجيرة، الاغتراب في الشعر الاندلسين عصر غرناطة أنموذجا، جامعة أبوبكر بلقايد- تلمسان- 2015-2016- ص 32.

وقد تنوعت الرحلة فمنها الرحلة داخل المدن الأندلسية وهي رحلة داخلية، تكون بتنقل علماء الأندلس وطلابه داخل بلادهم، طلبا للعلم أو نشرا لعلمهم، " فالزبيدي" صاحب كتاب (الواضح في العربية) له شعر جميل يتشوق فيه إلى جاريته التي تغرب عنها، يقول:

ويحك يا سلم لا تراعي لابد للبين من زماع

لا تحسبيني صبرت إلا كصبر ميت على النزاع

ما خلق الله من عذاب أشد من وقفه الوداع

ما بينها و الحمام فرق لولا المناحات و النواعي

إن يفترق شملنا و شيكا من بعد ما كان ذا اجتماع

فكل شمل إلى افتراق و كل شعب إلى انصداع

و كل قرب إلى بعاد و كل وصل إلى انقطاع[1]

في هذه الابيات يخاطب (الزبيدي) جاريته قمر، ويطلب إليها ألا تجزع لفراقه، فإن الفراق لابد له من نهاية، وألا تظن أنه يحتمل الفراق فهو أشبه بالميت وقت النزاع لا يحتمل هذا الوضع، وتبين لها ما أصابه من ألم لحظة وداعه لها، حيث لا فرق بين الوداع وبين الموت إلا بالنواح الذي يكون على الميت، فيقول: إن كنا قد افترقنا فهذه طبيعة الأيام فما بعد اجتماع الشمل إلا الفراق، وكل قرب إلى بعاد، وكل وصل إلى انصداع.[2]

[1] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب د ط ، تح، إحسان عباس بيروت- دار صادر- 1408هـ/1988م –ج3-ص 54
[2] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 34.

سرعان ما انتشرت هذه الرحلة بسبب سقوط المدن الاندلسية، و تدهور الأوضاع، مما أدى إلى تأثر الشعراء بهذه الأوضاع و أقضى مضاجعهم، و اضطرهم للارتحال من مدنهم إلى مدن أخرى داخل الاندلس، فقد كان الوضع السيء بمثابة البذرة الأولى للارتحال و الاغتراب، و كان لهذا الاغتراب أثر بالغ في حنين الانسان إلى وطنه، فكلما اشتدت مرارة الاغتراب سارع الشعراء إلى نظم الشعر المعبر عن شوقهم، و حنينهم إلى أوطانهم و أهليهم، و ما عاشوه من أوضاع مؤلمة في غربتهم، سواء أكانت غربتهم طوعا أم قسرا، فتشتد محنة الشاعر الاندلسي، و يشتد تبعا لذلك شوقه و حنينه إلى ذلك الوطن.[1]

كانت نزعة الحنين قد ضربت بجذورها في أعماق الشعراء الأندلسيون، كيف لا وهم أكثر الناس تعلقا بوطنهم، لقد ضرب هؤلاء الشعراء أروع الأمثلة في حب الوطن و التعلق به، و نظموا قصائد مملوءة بشحنة من العواطف الصادقة.

عاش الاندلسيون ظروفا قاسية نتيجة بعدهم عن أوطانهم، فعبروا بشعرهم عن أسمى معاني الحب و التشوق و الحنين، خاصة أن الشعور بالغربة كان يسيطر على الشاعر الاندلسي، حين يرتحل من مدينته الام إلى مدينة أخرى أندلسية داخل الاندلس، و هذا ما دفع هؤلاء إلى نظم قصائد كثيرة في التشوق إلى مدنهم،...[2]

واضطر ابن خفاجة إلى الخروج عن بلدته (شقر)، ولجأ إلى المغرب ومما قاله هناك:

فقلت و لي دمع ترقرق فانهمي يسيل و صبر قد وهى فتضعضعا

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 33.
[2] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق

" ألاهل إلى أرض الجزيرة أوبة فأسكن أنفاسا و أهدا مضجعا؟"

و له الابيات الذائعة:

إن للجنة بالأندلس مجتلى مرأى و ريا نفس

فسنا صحبتها من شنب و دجا ليلتها من لعس

فإذا ما هبت الريح صبا صحت: وا شوقى إلى الأندلس !

وكأن الشاعر اختصر أحاسيسه وعواطفه واندفاعة قلبه، ووجدانه بعبارة (وا شوقي إلى الاندلس!)[1].

و هاهي قصيدة أخرى، قال يتشوق إلى معاهده بجزيرة شقر، و يندب ماضي زمانه:

بين (شقر) و ملتقى نهريها حيث ألقت بنا الأماني عصاها[2]

ويغني المكاء في شاطئيها و يستخف النهى فحلت حباها*

عيشة أقبلت يشهى جناها وارف ظلها لذيذ كراها

لعبت بالعقول إلا قليلا بين تأويلها و بين سراها*

فانثينا مع الغصون غصونا مرحا في بطاحها ورباها

[1] الداية، محمد رضوان، المصدر ص 135.
[2] شقر إسم مدينة الشاعر و تعني جزيزة شقر أيضا: لأن نهر شقر ينقسم قلبها فرعين ثم يلتقيان بعدها.
* المكاء: طائر مائي. الحبا: ج الحبوة: حلية يشد فيها الجالس يديه و يشبكهما مع بعض و يضم إليهما رجليه و في (حلت حباها) استعارة)
* التأويب: سير النهار، و الشرى، سير الليل
* هذه أسماء موضاع في شقر، يذكرها الشاعر بتدائي ذكرياتها.

ثم ولت كأنها لم تكد تلبث إلا عشية أو ضحاها

فاندب المرج فالكنيسة فالشط و قل آه يا مبعد هواها*

اه من غربة ترقرق بثا اه من رحلة تطول نواها

اه من فرقة لغير تلاق اه من دار لا يجيب صداها

لست أدري و مدمع المزن رطب أبكاها صبابة أم سقاها

فتعالي يا عين نبك عليها من حياة إن كان يغني بكاها

و شباب قد فات إلا تناسيه و نفس لم يبق إلا شجاها

ما لعيني تبكي عليها و قلبي يتمنى سواده لوفداها؟ !

و من الشعراء المرتحلين أيضا الشاعر الأندلسي" محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري" يكنى" أبا عبد الله"، استقر به المقام في الشام بعد رحلة طويلة، جاب خلالها عدة أقطار، يقول ابن جابر يتشوق إلى وطنه "المرية"[1]:

لله عيش بالمرية قد ذهب أخباره بالحسن تكتب بالذهب

و هبت لنا تلك الليالي مدة ثم استرد الدهر مناما وهب

(بحر الكامل)

[1] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب د ط ، تح، إحسان عباس بيروت- دار صادر- 1408هـ/1988م –ج3-ص 355.

و قال أبو جعفر الالبيري (رفيق ابن جابر) متشوقا لغرناطة مع امله في العودة إليها:[1]

ذابت على الحمراء حمر مدامعي و القلب فيما بين ذلك ذائب

طال المدى بي عنهم و لربما قد عاد من بعد الاطالة غائب

(بحر الكامل)

يوضح "الالبيري" من خلال البيتين شدة معاناته وألمه على فراق (غرناطة)، حيث تساقطت دموعه الغزيرة على فراق (قصر الحمراء) وذاب قلبه من شدة حبه لها، فقد طال نواه ولابد أن يكون اللقاء بوطنه بعد طول الفراق.

ها هما " ابن جابر و الالبيري" يتحسران على الأيام السعيدة التي قضاها كل منهما في وطنه، و لكنها لم تدم لأن دوام الحال من المحال.

الرحلة الى المشرق:

بدأت رحلت الاندلسيين الى المشرق منذ وضعت الحرب أوزارها فباشر الأندلسيون بالرحيل شطر المشرق تلقيا للعلوم على يد المشارقة من نحو و ادب وفقه ، هده الرحلة الأولى ظلت حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ،اما الرحلة الثانية فبدأت عند انهيار الاندلس ، فما السبب الذي دفع هؤلاء الاندلسيين الى الخروج الى المشرق لعل الأحوال العامة في الاندلس كالفتن و الخلافات الداخلية و الصراع بين الحكام ، أجبرت الاندلسيين على الرحيل ، اضطر بعضهم الى مغادرة

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 51.

بلاده بعد تعرضه للظلم ، فكان مجبرا مما أذى نار الشوق و الحنين جراء البعد و النوى ، وما شهدته بلاده من خراب و دمار ، فراح الشعراء يعبرون عن حنينهم الى اوطانهم ، فقد كانت مغادرتهم قسرا باجبار من الحكام أو طوعا لتلقي العلم على يد العلماء و الفقهاء في المشرق العربي خاصة ان الحدود كانت مفتوحة (لا يوجد من يقف في وجه تنقلهم بين الاندلس و بين هده المدن الشرقية) ، و قد صور هؤلاء المرتحلون ومن خلال أشعارهم ما ذاقوه من مرارة البعد و الغربة و ما تعرضوا له من المشرق إضافة الى عدم تقدير المشارقة لهم ، بل و نظروا اليهم نظرة كلها ازدراء و احتقار كونهم مغربيين ،مما زادهم غربة على غربة[1]

ومن المرتحلين الى المشرق الشاعر " أبو بكر محمد بن قاسم الذي قاسى ألم الفراق فقال يصف حاله في الغربة[2]:

أين أقصى الغرب من أرض حلب أمل في الغرب الموصول التعب

حن من شوق الى أوطانه من جفاه صبره لما اغترب

جال في الارض لجاجا حائرا بين شوق و عناء و نصب

كل من يلقاه لا يعرفه مستغيثا بين عجم وعرب

(بحر المديد)

وبعد ما خرج من دمشق توجه الى دانية ، قال الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني " صاحب النفح :" ثم انه ودع الشرق بالسلام ، ورحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامري في بحبوحة

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 48.

[2] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب د ط ، تح، إحسان عباس بيروت- دار صادر- 1388هـ/1968م –ج2-ص 95.

عز ، لا يخشى فيه ملام ، و استقبل الاندلس بخاطر جديد ، ونال بها بعد من بلوغ الآمال ما ليس عليه مزيد ". [1]

يقول أبو بكر في ذلك :[2]

وكم قد لقيت الجهد قبل مجاهد و كم أبصرت عيني و كم سمعت أذني

ولاقيت من دهري و صرف خطوبه كما جرت النكباء في معطف الغصن

فلا تسالوني عن فراق جهنم ولكن سلوني عن دخولي الى عدن

(بحر الطويل)

فالمشرق بالنسبة للشاعر – بمثابة جهنم ، بينما الاندلس و وطنهم تحديدا جنة عدن .

الاعتقال و الابعاد

كانت الأوضاع السياسية سببا رئيسيا من أسباب السجن، بل هي الدافع الأقوى الذي بسببه زج بالكثير من الشعراء الاندلسيين بالسجون والمعتقلات، أو الى المنفى،

فالسجين أو الأسير يعاني كثيرا من الناحية المعنوية خاصة ويطغى عليه الشعور بالذل والمهانة، فالسجن مأساة حقيقية حطمت نفوس أصحابها، فما كان سبيلهم سوى الشعر للتعبير عن همومهم ومآسيهم[3]

و خير دليل على ذلك مأساة الشاعر (جعفر المصحفي) الذي أودع السجن على يد المنصور ابن ابي عامر، فقال : [4]

[1] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب د ط ، تح، إحسان عباس بيروت- دار صادر- 1388هـ/1968م –ج2-ص 96.
[2] المصدر نفسه ج2 ص 96.
[3] إبراهيم الخليلي/ مها روحي، الحنين و الغربة في الشعر الاندلسي- عصر سيادة غرناطة، (635-897هـ) فلسطين 2007-ص 63.
[4] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 48.

* أمير أموي يجع نسبه إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر

اجازي الزمان على حاله مجازاة نفسي لأنفاسها

إذا نفس صاعد شفها توارت به دون جلاسها

وان عكفت نكبة للزمان عطفت بنفسي على رأسها

(بحر المتقارب)

ويواسي الشاعر نفسه، بعد أن اعيد الى سجنه ليخفف من ألمه و أوجاعه، خاصة أنه أهين إهانة بالغة من قبل بعض الوزراء الذين تنكروا له وجحدوا فضله عليهم، .... .

لقد ادخل السجن على نفوس الشعراء الكآبة والحزن واللوعة، وكان لابد أن تنطقهم هذه المشاعر والاحاسيس بالحنين الصادق الذي يمتزج فيه الحنين الى الاهل بالحنين للوطن بحيث لا يمكن الفصل بينهما ومن الذين زج بهم في المعتقلات والسجون لأسباب سياسية الشاعر الاندلسي " الطليق مروان بن عبد الرحمان الناصر *. حيث انقسمت حياته إلى ثلاث مراحل: ستة عشر سنة منها قبل ايداعه السجن، وستة عشر في السجن وستة عشر عاشها بعد العفو[1]، وفي سجنه نظم أبيات يصور معاناته منها:

ألا إن دهرا هادما كل ما نبني سيبلي كما يبلى ويفنى كما يفني

وما الفوز في الدين هو الفوز إنما يفوز الفتى بالربح فيها مع الغبن

يجازى ببؤس عن لذيذ نعيمها و يجني الردى مما غدت كفه تجني

(بحر الطويل)

من خلال الابيات نلاحظ ان الشاعر متشائم، اسودت الدنيا في وجهه، ويتبين أن نهاية كل شيء هو الفناء ولا يدوم إلا وجهه الكريم[2].

[1] غارثيا غومس، إميليو. مع شعراء الاندلسو المثنى، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية. 1969-ص 72.
[2] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 69.

ويقول الطليق يصف السجن والمعاناة فيه:

في منزل كالليل أسود فاحم داج النواحي مظلم الاثباج

يسود والزهراء تشرق حوله كالحبر أودع في دواة العاج

(بحر الكامل)

فهو يصف السجن مشبها إياه بالليل لسواده وظلمة، فغالبا ما يكون السجن تحت الأرض في حين أن مدينة (الزهراء) من حوله مشرقة بجمالها وبهائها، فسواد السجن من سواد الحياة التي يعيشها السجين في سجنه.

ومن الشخصيات السياسية المهمة التي تعرضت للاعتقال والابعاد من الاندلس لملك الشاعر "المعتمد بن عباد " الذي كانت نكبته مضاعفة حيث فقد ملكه وثروته، وحمل مأسورا مكبلا بالقيود وبيعت بناته في الأسواق، سجن في (أغمات) في المغرب ولم يرحمه (يوسف بن تاشفين) الذي كان بمثابة صديق له حتى مات في سجنه، لقد خلف المعتمد بن عباد شعرا يعد ترجمة صادقة للحياة في المعتقل، يفيض بالألم والأسى والحنين، يصور مرارة السجن والأسر، وما ذاقه من الام ومتاعب وهذا من شعره الذي يعكس صورة الأسى في الصورة [1]

تبدلت من عز ظل البنود بذل الحديد و ثقل القيود

وكان حديدي سنانا ذليقا و عضبا رفيقا صقيل الحديد

فقد صار ذاك ودا ادهما يعض بساقي عض الأسود

(بحر المتقارب)

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 71.

فالمعتمد قد تغيرت حالته من حياة الترف والقصور والمال الى حياة مظلمة الى ذل القيود وثقلها والمها فقد تحولت حياته من النعيم الى الجحيم.

وها هو يخلو بنفسه وينوح عليها ويندب حظه ويتذكر ماضيه، ويشتاق الى ما كان عليه فيقول [1]

غريب بأرض المغربين اسير سيبكي عليها منبر و سرير

اذا قيل من اغمات قد مات جوده فما يرتجى للجود بعد نشور

فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة امامي وخلفي روضة وغدير

قضى الله في حوض الحمام وبعثرت هنالك عنا للنشور قبور

(بحر الطويل)

لقد أحس المعتمد بالغربة في سجنه وتخيل ان ملكه ثروته وعرشه سيبكيان لفراقه ولكن قضاء الله نفد ولا يمكن للماضي أن يعود، فمصيبته فاقت كل المصائب فقد فجع لمقتل ابنيه (الراضي والمأمون) فرثاهما بشعر أو بأشعار تدمي القلب والتي بين ثناياها يشكو محنته ومأساته داخل السجن فيقول:

يقولون صبرا، لا سبيل الا الصبر سأبكي و أبكي ما تطاول من عمري

مدى الدهر فليبك الغمام مصابة بصنويه يعدر في البكاء مدى الدهر

هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه يزيد ، فهل بعد الكواكب من صبر

توليتما و السن بعد صغيرة و لم تلبث الأيام ان صغرت قدري

فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى اذا انتما أبصرتماني في الاسر

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 72.

يعيد على سمعي الحديد نشيده ثقيلا فيبكي العين بالجس و النصر

(بحر الطويل)

ومن الذين ذاقوا مرارة السجن، وصدر عنهم أشعار في الحنين إلى أهلهم وذويهم، وفي تصوير معاناتهم الفقيه الكاتب " أبو عبد الله محمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تعرض هذا الشاعر الكبير لمحنة كانت نتيجتها نفيه وإبعاده عن وطنه (غرناطة) حيث تم نفيه إلى مدينة (فاس) ظلما، ومما نظمه " ابن جزي) في الحنين إلى وطنه بعد نفيه، قوله:[1]

ذهبت حشاشة قلبي المصدوع بين السلام ووقفة التوديع

أنجد بدمعك ياغمام فاإنني لم أرض يوم البين فعل دموعي

من كان يبكي الظاعنين بأدمع فأنا الذي أبكيهم بنجيع

إيه و بين الصدر عني و الحشا شجن، طويت على شجاه ضلوعي

يا قلب، لا تجزع لما فعل الهوى فالحر لس لحادث بجزوع

(بحر الكامل)

"ابن جزي" قد عبر من خلال شعره هذا عن تأمله وحزنه الشديد حينما فارق أهله ووطنه، كما عبر أيضا عن شوقه لدياره التي هجر عنها غصبا–فلم يعد له سوى الشعر يواسيه في غربته– لما تعرضه من ظلم وإهانة من السلطان بسبب ما تعرض له من الضرب، ومن الناس من خلال دسائسهم، وزور أقوالهم وبغضهم، وهو ما عبر عنه بقوله:[2]

رغبت بنفسي أن أساكن معشرا فعالهم زور ودهم مقت

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 73.
[2] المقري، شهاب الدين أحمد، المصدر السابق ج7 ص 107.

يدسون في لين الكلام دواهيا هي السم بالال المشود لهالت

فلا در در القوم إلا عصيبة إلي بإخلاص المودة قد متوا

(بحر الطويل)

فالشاعر (ابن جزي) جد متأثر من أولئك الناس الذين وشوا به بزور أقوالهم، والذين كانوا سببا في بعده عن وطنه.

ومن الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا للسجن والاعتقال ،'أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي (ابن زمرك)، مما نظمه في منفاه يتشوق ويحن إلى وطنه قوله:[1]

أعندكم أنني بفاس أكابد الشوق و الحنين

أذكر أهلي بها و ناسي و اليوم في الطول كالسنين

الله حسبي فكم أقاسي من وحشة الصب و البنين

مطارحا ساجع الحمام شوقا إلى الالف و الحميم

و الدمع قد لج في إسجام و قد وهب عقده النظيم

(مجزوء البسيط)

فهو في فاس منفيا، بعيدا عن وطنه "غرناطة" يكابد الشوق.

[1] المقري، شهاب الدين أحمد، المصدر السابق ص 245..

ومن الشعراء الذين ذاقوا مرارة السجن، والذين زج بهم في المعتقلات وأسروا بعيدا عن ديارهم وأهليهم، فكانت المرارة تكاد تقتلهم فكم كانت حاجتهم للأنس، وشعورهم بالفقد عارم نجد "أبا الاصبع عيسى بن الحسن" يقول في طول سجنه:[1]

ليث شعري كيف البلاد ال إنس و الوحش و السما و الماء

طال عهدي عن كل ذاك، و ليلي و نهاري في مقلتي سواء

و إذا ما جنحت فيه لإنس أوحشتني بإنسها الاغبياء

التهجير عن أرض الوطن

لقد شهدت بلاد الاندلس برمتها سلسلة من الحروب الدامية، تتابعت عليها المصائب و النكبات، فبعدما سقطت الخلافة الاموية، اندلعت فتنة البربر التي أدت إلى سقوط "قرطبة" في يد الاسبان، ليتوالى سقوط المدن الاندلسية الواحدة تلو الأخرى، نتيجة الصراع الداخلي القائم في عهد المرابطين و ملوك الطوائف و الموحدين، كان لهده الاحداث السياسية الممتدة من سقوط الخلافة الاموية في الاندلس و حتى سقوط غرناطة، صدى كبير و أثر على الأندلسيين عامة و الشعراء خاصة، فبطبيعة الحال بعدما تعرضوا له من قتل و عذاب و تنكيل و اضطهاد و هتك للحرمات من قبل الاسبان النصارى، لم يعد باستطاعة أبناء الاندلس تحمل هذه الأوضاع المؤلمة، فكل هذه المآسي دفعت بالكثير من الشعراء إلى الهجرة عن أرض الوطن، و قلوبهم يعتصرها العذاب و تتفطر ألما لما حل ببلدهم، و خير ما نقف عنده هو الأمير الاموي عبد الرحمن الداخل الذي هاجر من وطنه، باتت عودته مستحيلة، و قوله في أشعار حنينية:[2]

أيها الفارس الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض و فؤادي و مالكيه بأرض

[1] خليفي عثمان، هجيرة، الاغتراب في الشعر الاندلسين عصر غرناطة أنموذجا، ص 37.

[2] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب د ط ، تح، إحسان عباس بيروت- دار صادر- 1408هـ/1988م –ج2-ص 68.

قدر البين بيننا فافترقنا و طوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

(بحر الخفيف)

و من الشعراء الأندلسيين الذين هاجروا من بلادهم بعد سقوطها بيد الاسبان الشاعر" ابن خفاجة" الذي نكب بفراق مدينته "شقر" فغادرها إلى العدوة المغربية، باكيا على فراقها الذي أحس أنه سيطول إذ هي فراق بلا تلاق، فيقول:[1]

بين شقر و ملتقى نهريها حين ألقت بنا الاماني عصاها

و تغنى المكاء و شاطئيها يستخف النهى فحلت حباها

عشية أقبلت شهي جناها وارف ظلها لذيذ كراها

إلى ان يقول:[2]

آه من فرقة لغير تلاق آه من دار لا يجيب صداها

فتعالي ياعين نبك عليها من حياة إن كان يغني بكاها

(بحر الخفيف)

فالشاعر يتحسر على ماضيه، الذي قضاه في مسقط رأسه "شقر" ويندب حظه، وذكرياته الجميلة هناك، ويتحسر على البعد والفراق، فلقد عانى الشاعر مرارة الشوق، وبعد النوى، وألم الفراق، ويود ول انه يؤوب إليها ليهدأ باله وتهدأ نفسه ويرتاح ولكن! هيهات له ذلك، ...

[1] الحميري محمد، عبد المنعم، الروض المعطار في خير الأقطار تج، إحسان عباس مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980 – ط 2 ، ص 349 -350

[2] الحميري محمد، عبد المنعم، الروض المعطار المصدر نفسه ص 349-350.

ولقد هجر العديد من أبناء الاندلس دون أمل في العودة، لأنه بعد سقوط مدنهم بيد العدو الاسباني، لم يكن أمامهم سوى الهجرة بعيدا، وعلى رأس هؤلاء الشاعر " أبو المطرف بن عميرة" الذي قضى جل حياته خارج وطنه (جزيرة شقر) منتقلا هنا وهناك بين مدن الاندلس، ثم صوب مراكش، وتونس، لا يقر له قرار، مما أوقد لهيب الشوق وأشعل نار الحنين إلى مسقط رأسه، لكن عودته مستحيلة، إذ لم يبق لابن عميرة سوى الاشتياق والذكريات، وحسرته لخسارة وطنه الغالي " شقر"، وإلى الابد، يقول:[1]

يحن و ما يجدي عليه حنينه إلى أربع معروفها متنكر

و يندب عهدا بالمشقر فاللوى و أين اللوى منه و أين المشقر؟

و أقفر رسم الدار إلا بقية لسائلها عن مثل حالي مخبر

فلم يبق إلا زفرة إثر زفرة ضلوعي لها تتقد أو تتفطر

(بحر الطويل)

فبعدما سقط وطنه بيد الأعداء، لم يبق له سوى الحنين الذي يزيده ألما وعذابا.

وكذلك الشاعر الاندلسي " أبو حيان الغرناطي" الذي اضطر إلى مغادرة وطنه، و حل بمصر، و شوقه إلى مسقط رأسه ألهب مشاعره، يقول متشوقا "لغرناطة"[2]:

يا فرقة أبد لتني بالسرور أسى و أسهرت ناظرا قد طال ما نعسا

أني يكون اجتماع بعد مفترق جسم بمصر وروح حل أندلسا

(بحر البسيط)

[1] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ج3-ص 493-494.
[2] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 88.

رغم بعده عن وطنه، إلا أن روحه متعلقة به أشد التعلق، و لولا اضطراره إلى الهجرة لما غادر (غرناطة)، "فأبو حيان" قد خرج من وطنه بسبب الوشاة و الحاسدين الذين أوغلوا صدر سلطانه عليه فلو لم يخرج فرار منه لكان مصيره القتل.

و من الشعراء الذين هاجروا من أوطانهم فرارا من سوء المصير الذي ينتظرهم الشاعر الاندلسي " لسان الدين بن الخطيب"، الذي كانت له مكانة عظيمة عند سلطانه (الغني بالله) بل كان وزيرا له، إلا ان الحاقدين عليه أوغروا صدر السلطان عليه و اتهموه في دينه، فلما أحس "ابن الخطيب" بقرب هلاكه، هاجر إلى ناحية بعيدة، و بعد وصوله إلى بر الأمان، وضح سبب خروجه حيث أنه خرج فرارا من مصيره المحتوم الموت، فكتب أبياتا يتشوق فيها على وطنه الذي يتلهف إلى العودة إليه و لكن واحسرتاه فيقول:[1]

ما للحمى بعد الاحبة موحشا و لكم ترائى آهلا مأنوسا

أترى بعيدا الدهر عهدا للصبا درست مغاني الانس فيه دروسا

(بحر الكامل)

من خلال تتبعنا لبعض الشعراء الأندلسيين الذي آثروا الهجرة على البقاء في وطنهم، لاحظنا أن هجرة هؤلاء لم تكن طوعا منهم وإنما قسرا وغصبا، وإن اختلفت أساب الهجرة وتعددت، التي منها الفرار من اضطهاد الحكام بسبب الوشاة والحاقدين، وهذا هو السبب الغالب تقريبا، فلم يبق سوى الذكريات، وأشعار الحنين المعبرة عما يجش في خلجات نفوسهم من مشاعر الشوق إلى الوطن، ومن هنا، فقد كانت الهجرة سببا مما أدى الى ذيوع شعر الحنين في الشعر الاندلسي عامة.

وهناك شاعر آخر هاجر من وطنه " بلنسية" ليحل في تونس، بعد سقوط مدينته بيد الأعداء، إنه الشاعر " ابن الابار" الذي نظم شعرا يتشوق إلى وطنه، فيقول:[2]

[1] المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ج6-ص 196

[2] الطويل يوسف، مدخل إلى الادب الاندلسي، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1991، د6 ص 235.

يا أهل ودي، لا أروم تدانيا منكم وداركم تبين و تنزح

إن كان جسمي شط عن مثواكم فالقلب ثاو بينكم لا يبرح

هذي الجوانح بالجوى مملوءة مما أميل لكم و مما أجنح

(بحر الكامل)

الشاعر محب لوطنه، رحل عنه بجسده فقط، لكن قلبه باق في وطنه بين ذويه و أحبابه، و يتألم "ابن الابار" أيما تألم لما حل بمدينته، و يتمنى لو بإمكانه العودة،...

هذه الصورة مأساوية، فجسم الشاعر ببلد و روحه ببلد حيث أهله و أحباؤه.

وممن امتحن بالتغريب عن وطنه (المرية) "أبو الحسن سهل بن محمد بن مالك الغرناطي"، حين نفي من قبل الحاكم وأبعد ليقيم في مرسية (إحدى مدن الاندلس)، فيصور حالته في غربته، وما تجرعه من ألم وعذاب، وشوق بصبر وعناد، فيقول في ذلك:[1]

تذرعت بالصبر الجميل و اجلبت صروف الليالي كي تمزق لي ردعي

فماملأت قلبي و لا قبضت يدي و لا نحتت أهلي و لا هصرت فرعي

فإن عرضت لي لا يفوه بها فمي و إن زحفت لي لا يضيئ لها درعي

(بحر الطويل)

و قال أيضا:[2]

و حامل طيب لم يطيب بطيبه و لكنه عند الحقيقة طيب

تألف من أغصان آس و زهرة فمن صفتيه زاهر و رطيب

[1] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 39.
[2] إبراهيم الخليل، مها روحي، المرجع السابق ص 39.

تعانقت الاغصان فيه كما التقى صبيب على طول النوى و حبيب

و إن الذي أدناه بعد فراقه إلي لسر في الوجود عجيب

مناسبة للبين كان إنتسابها و كل غريب للغريب نسيب

فبالامس في أشجاره و بداره و باليوم في دار الغريب غريب

(بحر الطويل)

إن شعر الحنين يتأتى من عوامل عدة، منها إحساس الشاعر بعدم الاستقرار في المنفى، مما يدفعه إلى مقارنة الحاضر بالغابر، وأرض الوطن الأصيل بأرض الوطن البديل، ومنها الرغبة أيضا في التحريض، وذلك من خلال لجوء الشاعر إلى تضخيم الإحساس، وما ينتج عن ذلك من لوعة تبرر ما سيذهب إليه من إثارة العواطف وحفز الهمم في سبيل العودة.[1]

[1] يوسف عيد، الشعر الاندلسي و صدى النكبات، دار العزة و الكرامة للكتاب، الجزائر، د ط، دت.

نماذج من شعر الحنين:

لا يخلو أدب أمة من الأمم من شعر أو (نثر) يعبر فيه المبدع عن أشواقه إلى الوطن، فشعر الحنين من الموضوعات التي طرقها الشعراء قديما وحديثا، إذ يعد تجربة شعورية، ولكل شاعر أفقه في هذه القضايا، وطريقة تناوله، ويمتاز بالعاطفة الصادقة والاحاسيس الحزينة المتأججة والشعور بالفقد والإحساس بالاغتراب، ولا يخلو –غالبا–من الميل إلى الحزن والامل، كما لا يخلو أيضا من نسائم الامل بالعودة، أو تسجيل خطر أن النفس في هواجسها، ودمعات المقل في انسيابها، وزفرات الشوق في تصعيدها[1].

فبداية ظاهرة هذا النوع من الشعر (الحنين) الحقيقية كانت في بداية الدولة الاموية في الاندلس، نظر اللإبتعاد والاغتراب عن البلد الام، ثم تطور في العصور اللاحقة، فإن كان المشارقة لهم فضل السبق في هذا الموضوع[2]، فإن الاندلسيون قد لحقوا بهم وتوسعوا فيه أكثر منهم من حيث الوفرة وقوة العاطفة، و "ليس كالاغتراب شيء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه وتعلقه وهذا ما حدث لهؤلاء الاندلسيين، سواء أكان اغترابهم بالانتقال من الغرب إلى الشرق، أم الانتقال لسبب أو لآخر من مدينة إلى مدينة بالأندلس"[3].

و لشعراء الأندلس شعر كثير في هذا الغرض، و قد زادوا على كثير من شعراء الأقطار الأخرى، من حيث الوفرة، رنة الاسى، أو لهفة اللقاء، نظرا لظروف الاندلس التي كانت في حال استنفار متواصل، و كانت ثغرا من ثغور المسلمين[4] بحيث سقطت مدنها بين الملوك الاسبان، و اغتصبت أراضيهم و أصبحت بأيدي النصارى، فذاق الأندلسيين مرارة الضياع و التشتت، و تركوا أوطانهم، وفارقوا أهاليهم و احبتهم إلى غير رجعة، فنظموا أشعارا باكية من شدة اللوعة و الحسرة، الشوق و المعاناة.

[1] الداية محمد رضوان، في الادب الاندلسي، دار الفكر ، دمشق ط1، 2000، ص 131.
[2] إبراهيم الخليلي/ مها روحي، الحنين و الغربة في الشعر الاندلسي- عصر سيادة غرناطة، (635-897هـ) فلسطين 2007-ص 19.

[3] عتيق، عبد العزيز، الادب العربي في الاندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، 1976، بيروت، ص 273.
[4] الداية محمد رضوان، المرجع السابق ص 132.

و لقد نهض الشعر –عامة– و شعر الحنين –خاصة– نهضة مباركة، و استوى على سوقه، و أتى أكله، ورقت أساليبه، وزكا زرعه، فالأندلسيون بعد أن عضهم الدهر بنابه، أبدعوا و قدموا آثارا طافحة بالعاطفة الغامرة.

و في هذه الفترة، و من هؤلاء الشعراء الذين مثلوا هدا اللون (ابن دراج القسطلي، ابن شهيد و ابن حزم) الذين شردتهم و تركوا مدينتهم إلى مدن أندلسية أخرى، فمن قول ابن دراج القسطلي يتشوق إلى قرطبة:[1]

عهدا كعهدك من عهاد طالما كست البرود معاهدي و ملا عبي

و أجنح لقرطبة فعانق تربها عند بمثل جوانحي و ترائبي

حين استكانت للعفاء منازلي و هوت بأفلاد الفؤاد نجائبي

ذللا تعسفن الدجى بأذلة ولواغبا جبن الفلا بلواغبي

وكواكب ناءت بقربتها النوى فقضت مدامعها بنوء الغارب

مذ كان مفجوع، بترحه راحل لم يسله طمع لفرحة آيب

و النماذج الشعرية التي تصور حنين الشعراء الأندلسيين إبان الفتنة القرطبية، كثيرة عند شعراء آخرين مثل ابن زيدون، ابن شهيد و ابن حزم وغيرهم من الشعراء الذين فجرت هده الفتنة عندهم الكثير من قصائد الغربة و الحنين، و بعد الأوقات العصيبة التي مرت بها الاندلس في فترة الفتنة، كانت الانقسامات الداخلية هي النتيجة الحتمية التي عرفتها البلاد في ظل ملوك الطوائف أين ظهرت العديد من الاضطرابات السياسية و المؤامرات، الامر الذي دفع ببعض الشعراء إلى الابتعاد عن قرطبة إلى مدن أخرى و في هذه الفترة حدثت تقلبات و أحداث جسام جعلت المرابطين يعبرون البحر و يدخلون الاندلس، لتصبح هذه الأخيرة تابعة لهم بعد أن أقصوا عنها ملوك

[1] دحموش، فتيحة ، المرجع السابق ص 22.

الطوائف، و برز في هؤلاء طبقة الفقهاء على حساب الشعراء مما دفع ببعض الشعراء إلى المغادرة بلدانهم إلى بلدان أخرى فتصدر عنهم أشعار في الحنين ومن هؤلاء (الأعمى التطيلي، ابن بقي) وغيرهما،... كما كان لسقوط إشبيلية في أيدي المرابطين، وصقلية في أيدي النورمان، أثر بالغ على عدد كبير من الشعراء الذين غادروا بلدتهم اضطرارا أو اختيارا ومن هؤلاء المعتمد بن عياد و غيره. [1]

والمتصفح لشعر الغربة والحنين في عصر المرابطين يجده قد اتجه اتجاهين اثنين الأول صور فيه الشعراء حنينهم إلى الوطن والأهل، والثاني صور فيه حنينهم إلى ماضيهم حيث أيام الصبا والشباب ومجالسة الأحبة والخلان.

أما في العهد الموحدي، فقد كثرت الأشعار التي قيلت في الغربة والحنين ، حيث كانت الأوضاع السياسية والمضطربة خاصة في أواخر العصر ، (وما حدث من صراع على السلطة داخل المغرب بين (الناصر والمأمون)أوبين (ابن مرديش و الموحدين) وفتن شرق الأندلس ، كانت تلك الاحدث تجبر قسما كبيرا من الشعراء إلى الهجرة وترك الوطن ، سواء إلى المغرب أو إلى المشرق [2] وخير مثال على ذلك (حازم القرطاجني) الذي هاجر من بلدة مرسيه إلى تونس ، وابن الابار وغيرهما ، وفي أواخر العهد النصري ،انحصر الوجود العربي في مملكة غرناطة ، وازدهر شعر الغربة والحنين ازدهارا كبيرا وظهر نوع اخر من الحنين وهوما يسمى بالحنين إلى الأماكن المقدسة ويكفي أن نذكر (ابن الصباغ ،ابن خاتمة ابن زمرك و يوسف الثالث وغيرهم،...

وابن سعيد[3](أبو الحسن علي بن موسى) (610-685هـ)

أحد ادباء الاندلس الذين خرجوا منها ولم تتح لهم العودة إلى الديار، وفي شعره حنين إلى الوطن ولهفة إلى لقائه، من ذلك قوله وهو في مصر:[4]

[1] طحطح فاطمة، المرجع السابق ص 23.
[2] طخطح فاطمة، المرجع السابق ص 46.
[3] أديب و مؤرخ و جغرافي، شاعر و مؤلف و ناقد، و هو صاحب قاموس (المغرب في حلى المغرب) طبع في جزأين، له كتب أندلسية أخرى...
[4] الداية، محمد رضوان المرجع نفسه ص 137.

–هذه مصر فأين المغرب مذ نأى عني دموعي تسكب

فارقته النفس جهلا إنما يعرف الشيء إذا ما يذهب

اين حمص اين أيامي بها بعدها لم ألق شيئا يعجب

الشاعر في شوق دائم، ودموع غالية، و تدكر مدينة إشبيلية (حمص الأندلس) ويقر أنه لم ير بلدا في البلاد التي زارها يعجبه أو يعوضه عن وطنه الحبيب،...

وهذا (أبو البقاء الرندي) في قصيدة نظمها بمراكش يشكو بعده عن الأندلس جملة، وعن مدينة (رندة) خاصة[1]، فقال:

بحياة ما ضمن عرى الأزرار بذمام ما في الحب من أسرار

بالحجر بالحجر المكرم بالصفا بالبيت، بالأركان ، بالأستار

يا لله إلا ما قضيت لبانة تقضي بها وطرا من الاوطار

و تكف من أشجان صب يشتكي جور الزمان و قلة الأنصار

بلغ لأندلس الزمان وصف لها ما بي من أشواق و بعد مزار

و إذا مررت برندة ذات المنى و الراح و الزيتون و الازهار

سلم على تلك الديار و أهلها فالقوم قومي و الديار دياري

هذه القطعة المليئة بالعاطفة العميقة، يريد بها الشاعر إيصال نداء للسامع ويلفت نظره ليحمل عنه رسالة اشتياق وحنين إلى بلدته (رندة)، كيف لا وهي أمه ومدينته وملعب صباه !، مشاعر

[1] الداية، محمد رضوان المرجع نفسه ص 137.

حزن وأسى، إذ ارتفع صوت الارتباط بالأرض، والشعور بقيمة الوطن، والمعاني التي تثور في نفس المغترب، ...

وكان الرصافي البلنسي، قد خرج من بلدته صغيرا، مما حفزه على ذكرها في شعره، والتشوق إليها، كقوله:

خليلي ما للبيد قد عيقت نشرا و مالرؤوس الركب قد رنحت سكرا

هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبا أم القوم أجروا من بلنسية ذكرا؟

خليلي عوجابي عليها فإنه حديث كبرد الماء في الكبد الحرى

بلادي التي رشيت قويدمتي بها فريخا و آتتني قرارتها وكرا[1]

مبادئ لين العيش في ريق الصبا أبى الله أن أنسى لها أبدا ذكرا

لبسنا بها ثوب الشباب لباستها و لكن عرينا من حلاه و لم تعرى

لابد أن الأوضاع السياسية واضطراب الأحوال في الاندلس كانتا في طليعة الأسباب التي دفعتهم إلى الرحيل، أو تعرضهم للاضطهاد والنفي، وسقوط مدنهم في أيدي النصارى، مما يضطر الشاعر إلى مفارقة مدينته وقلبه يعتصر ألما لفراقها، لكن قسوة الأوضاع تجبره على الرحيل، ...

كانت البدايات الأولى لشعر الحنين في الادب الاندلسي على يد الأمير عبد الرحمان بن معاوية بن هشام (يكنى بأبي المطرف)، فقد نظم قصائد يتشوق فيها إلى وطنه ومعاهده، قوله:[2]

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي

[1] قويدمة، تصفير قادمة، وهي إحدى القوادم (أبرع رشات في مقدم الجناح) قاموس س

[2] الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس- تح إبراهيم الابياري، المجلد 14 –ج1- دار الكتاب المصري،ط1، 1989 م -1410هـ ص 32.

إن جسمي كما علمت بأرض و فؤادي و مالكيه بأرض

قدر البين فافترقنا و طوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

(بحر الخفيف)

هنا نلاحظ عذاب هدا الأمير و معاناته.

و هذا " ابن زيدون" الذي صور برهافة حس، و صدق وجدان، تجربته الأليمة التي فارق فيها أهله ووطنه إذ يقول:[1]

هل تذكرون غريبا عاده شجن من ذكركم وجفا أجفانه الوسن

يخفي لواعجه و الشوق يفضحه فقد شاوى لديه السر و العلن

يا ويلتاه أيبقى في جوانحه فؤاده و هو بالاطلال مرتهن

و أرمد العين و الظلماء عاكفة و زرقاء قد شفها إذ شفني حزن

فبت أشكو و اشكو فوق أيكتها و بات يهفوا ارتياحا بيننا الغصن

يا هل أجلس أقواما أحبهم كنا و كانوا علي عهد و قد ظعنوا؟

أو تحفظن عهودا لا أضيعها إن الكرام بحفظ العهد تمتحن

إن كان عادكم عديد فرب فتى بالشوق قد عاده من ذكركم حزن

و أفردته الليالي من أحبته فبات ينشدها مما جنى الزمن

[1] أبو السعود سلامة أبو السعود، الادب العربي في مختلف العصور، العلم و الايمان لنشر و التوزيع 2007م

بم التعلل؟ لا أهل و لا وطن و لا نديم و لا كأس و لا سكن

و ها هي قوة الحنين في قصائده–أيضا– و التي ذكر فيها مدينة (قرطبة) و هو بعيد عنها، يقول من قصيدة مخمسة:[1]

أقرطبة الغراء هل فيك مطمع؟

و هل كبد حرى لبينك تنقع؟

و هل لياليك الحميدة مرجع؟

إذا الحسن مراى فيك اللهو مسمع و إذ كنف الدنيا لديك موطأ

و يقول أيضا في (الزهراء)

و ياحبذا الزهراء بهجة منظر

ورقة أنفاس و صحة جوهر

و ناهيك من مبدا جمال و محضر

و جنة عدن تطيبك و كوثر و بمرأى يزيد العصر طيبا و ينسأ*

قصيدة لأبي الحسين بن أحمد بن سليمان " بن فركون":[2]

أحبابنا لنا بعد النوى طمع في القرب أو هل زمان الانس يرتج

إذا تذكرت ما بيني و بينكم يكاد قلبي من ذكراه ينصدع

و لت صباحا ركاب القوم مسرعة و الدمع ينزل و الانفاس ترتفع

[1] الداية محمد رضوان، المصدر السابق ص 134.
* تطبيك: تدعوك- ينشأ: يزيد في العصر
[2] إبراهيم الخليلي/ مها روحي، المرج السابق 208

كن كما شاءت الامال في دمعة و الوصل متصل و الشمل مجتمع

ففرق الدهر ظلما بيننا و غدا ما كان طلوع يدينا و هو ممتنع

ما كان ظني أن القرب يعقبه بعد و لا أن طول الوصل ينقط

ما بات يلقى الذي ألقاه من ألم فليس يعلم ما يأتي و ما يدع

(بحر البسيط)

و قال أيضا:[1]

هل بعد طول تغربي و فراقي أرجو اللقاء و لات حين تلاق

لما رحلت عن المنازل لم يزل سكنى الفراق بقلبي الخفاق

جارالزمان ببعدهم و لعله يوما يعود بعادة الاشفاق

يا حادي الأظغان ملك و الثرى الله في الرفق الذي هو باق

(بحر الكامل)

[1] نفسه ص 208.

قال ابن زمرك:[1]

أبلغ لغرناطة سلامي و صف لها عهدي السليم

فلو رعى طيفها ذمامي مابت في ليلة السليم

مطارحا ساجع الحمام شوقا إلى الالف و الحميم

و الدمع قد لج في انسجام قد وهى عقده النظيم

أعندكم أنني بفاس أكابد الشوق و الحنين

أذكر أهلي بها و ناسي و اليوم في الطول كالسنين

الله حسبي كم أقاسي من وحشة الصحب و البنين

(مخلع البسيط)

أبو القاسم بن جزي الكلبي:[2]

إيه و بين الصدر مني و الحشا شجن طويت على شجاه ضلوعي

ياقلبي، لا تجزع لما فعل الهوى فالحر ليس لحادث بجزوع

ذهبت حشاشة قلبي المصدوع بين السلام ووقفة التوديع

أنجد بدمعك يا غمام فإنني لم أرض يوم البين فعل دموعي

من كان يبكي الظاعنين بأدمع فأنا الذي أبكيهم بنجيع

(بحر الكامل)

[1] إبراهيم الخليلي/ مها روحي، المرجع السابق

[2] ابن الخطيب، لسان الدين الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ص 260

وهذه أبيات للشاعر الاندلسي " لسان الدين بن الخطيب"، وإن كانت غربته عن وطنه لم تتجاوز الاندلس، فقد قضى غيبته عن وطنه في جبل الفتح قريبا من غرناطة، إلا أنها كانت كفيلة بتحريك جذوة الشوق والحنين في نفسه، يقول:[1]

سلوا عن فؤادي بعدكم كيف حاله وقد قوضت عند الصباح رحاله

و لا تحسبوا أني سلوت على النوى فسلوان قبلي في هواكم محاله

و ما قال من شطت بغرب دياره و في الشرق أهلوه، و ثم حلاله

عسى جبل الفتح الذي بجانبه حللت بقرب الفتح يصدق فاله

ترى هل يعود الشمل كيف عهدته و يبلغ قلبي ما اشتهى و يناله

لقد هاجني شوق إليها مبرح إذا شمت برق الشرق و شب ذباله

فكم لي على الوادي بها من عشية يقل لها ذكر الفتى و مقاله

عسى الله يدنى ساعة الفرج التي بها بشرى عن فؤادي خباله.

(بحر الطويل)

[1] إبراهيم الخليلي/ مها روحي، المرجع السابق ص 42.

الفصل الثاني

تيمة الغربة و الحنين

-شعر ابن خاتمة أنموذجا-

ابن خاتمة

نسبه

هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصار[1] الاندلسي، ولد في المرية، في مطلع القرن 8هـ، تلقى ابن خاتمة العلم على نفر منهم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المري، وأبو إسحاق إبراهيم بن العاصي التنوخي، محمد بن جابر بن محمد بن حسان الوادي آشي:[2]

(وهو راوية محدث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأبو جعفر القرشي المعروف بابن فركون وأبو القاسم بن سهل بن مالك وأبو جعفر بن الاعز.

قال عنه لسان الدين بن الخطيب " هذا الرجل صدر يشار إليه، طالب متفنن، مشارك قوي الإدراك، سديد النظر، قوي الذهن كثير الاجتهاد، جيد القريحة، بارع الحظ، حسن الخلق، جميل المعاشرة، حسنة من حسنات الاندلس، عقد الشروط، وكتب عن الولاة في بلده المرية".[3]

فقد ابن خاتمة للإقراء في الجامع الأعظم في المرية، فأقرأ اللغة والنحو والبلاغة والادب، ثم درس في المدرسة اليوسفية التي أنشأها أبو الحجاج يوسف الأول بن الأحمر (733–755هـ) في غرناطة.

كان ابن خاتمة ناثرا، إذ كانت له رسائل إخوانية و ديوانية، فهو ناظم مكثر متعدد الفنون والاغراض، له مديح ديني في الله ونعمه، ونسيب غزل مؤنث ومدكر ومجون، كما له أوصاف في الطبيعة والخمر، ثم له حكم وملح وفكاهات، وشعره عادي في الأكثر تغلب عليه الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية، وله موشحات كثيرة[4]

---

[1] الانصاري، نسبة إلى الأنصار الذين نصروا النبي صلى الله غليه و سلم.

[2] الرحالة محمد جابر آشي، هو شمس الدين أبو عبد الله ولد بتونس سنة 706هـ، و هو من شيوخ إبن الخطيب، مات سنة 779 هـ (نفح الطيب ج6/ ص 200-202)

[3] ابن الخطيب، لسان الدين الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ص 114.

[4] محمد عيس، عبد العزيز، مرجع السابق ص 490.

مؤلفاته وأثاره

1. ديوان شعره الذي كتبه بخط يده سنة 738هـ[1]
2. تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، في وصف الطاعون الذي اجتاح العالم سنة 749هـ–1348م.[2]
3. مزية المرية على غيرها من بلاد الأندلس، وهو كتاب مفقود فيه شيء من جغرافية تلك المدينة وتاريخها و تراجم رجالها
4. إلحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس، وهو مفقود، ذكره صاحب نيل الابتهاج
5. معظم ما ورد في كتاب ابن زرقاله(رائق التحلية في فائق التورية) من شعر لابن خاتمة لم يرد في ديوانه ، والكتاب منشور بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية بدار الحكمة.دمشق1971م
6. إيراد اللال من انشاد الضوال ، وهو استدراك على إنشاد الضوال و إرشاد السؤال لمحمد بن هاني اللخمي السبتي .
7. رسالة :الفصل العادل بين الرقيب و الواشي والعاذل [3]

[1]أنظر ديوان ابن خاتمة الانصاري، تح محمد رضوان الداية، دار الحكمة دمشق 1971.
[2] الكتاب مخطوط في الخزانة العامة في الرباط- ميكر و فيلم- رقم 1212.
[3] الرسالة منشورة في آخر الديوان بتحقيق محمد رضوان الداية ص 225-231.

الخصائص الفنية لشعر الغربة والحنين

انتهج الشعراء الأندلسيون الأساليب الفنية القديمة التي سار عليها من سبقهم فلم يكن الشاعر الاندلسي ليتجاوز في أساليبه الفنية الخصائص المألوفة في الشعر العربي حيث ساد الاتجاه التقليدي وما ذلك إلا نتيجة لحب الأندلسيين للمشارقة واعتزازهم بنتاجهم الادبي ،وقد كانت الظروف السياسية التي عاشوها من الأسباب التي دفعتهم إلى التمسك بدينهم وتراثهم بحكم انتمائهم إلى أهلهم في المشرق ، فهناك مؤشرات توضح انطباع هذا الشعر بطابع أندلسي مميز وعلى الرغم من أن الشعراء الأندلسيين من خلال أشعارهم المستحدثة نتيجة لاختلاطهم بالعناصر الأخرى ونشاط حركة التبادل الثقافي بين شعراء الأندلس وشعراء البلد العدوة ،فقد دفعت الأوضاع غير المستقرة الشعراء إلى الابتعاد عن شعر العبث والمجون والغزل . والتوسع في موضوعات الزهد والمدائح النبوية وشعر الجهاد فقد استمر في ازدهاره وتوسعه حتى اشتملت أغراضه مختلف مناحي الحياة كالغربة والحنين.

– من هنا كان لابد من دراسة الخصائص الفنية والأسلوبية لشعر الغربة والحنين عند الاندلس والتي تظهر من خلال طريقة بنائه وتصويره الفني والسير على مذهب الصنعة في بعض أشكاله وأساليب تعبيره[1].

سهولة اللفظ

اللغة من أهم مكونات القصيدة فيها يعبر الشاعر عما يجيش في صدره من عواطف وانفعالات وما يجول في خاطره ن أفكار وهي عنصر من عناصر الشعر المهمة فلابد للشاعر أن يسلك فيها مسلكا خاصا ليستطيع أن يؤدي معاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول، معنى هذا أن عليه أن يختار فيتحرى الجميل المناسب والأنيق الحسن.

[1] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 137.

يقول ابن رشيق: للشاعر ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها ...[1]

فالألفاظ اوعية المعاني واختيارها أساس تكوين الأسلوب وتنويعه لأنه مرتبط بموضوع النص معجم العصر وطبيعته الثقافية المؤثرة في الشاعر، الألفاظ الجزلة تناسب موضوعات الفخر والمدح في قوتها أو الحماسة أما الرقيقة فتنسجم مع أغراض التغزل و وصف للطبيعة.

–مال شعراء الاندلس الى تخير الالفاظ السهلة في شعرهم الغزلي وشعر الحنين بصورة خاصة متفقين مع القدامى على استخدام الالفاظ السهلة في هاتين الاخيرتين حيث يقول قدامى بن جعفر ولما كان المذهب في الغزل والحنين

انما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه ان تكون الالفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مشبوهة ويقول ابن الاثير "مال الشعراء الاندلسيين لاستخدام الالفاظ السهلة الواضحة البعيدة عن التعقيد والغرابة والوحشية وغيرها من الصفات التي لا تخل بفصاحة الكلمة"[2] بمعنى يراد به ان الاندلسيين اتسمت اشعارهم بالوضوح والسهولة في الفاظها.

وقد دلت الفاظ الشعر الاندلسي على دوق سليم في الاختيار وسعة في لين الكلام وجزالة اللفظ واختاروا أحسن الالفاظ وقعا على السمع وتصوير الجمال وايقاظ النفوس واثارة العواطف وأمعنوا في الصياغة اللفظية امعانا جعلت كلامهم لا يكاد يخلو من التشبيه او الاستعارة او الكناية اتين بالعجيب الغريب في غالب الاحيان

حرص الشعراء على اختيار اللفظ العذب الرقيق ففي دراسة الشعر الاندلسي عامة وشعر الغربة والحنين خاصة نجد ان الالفاظ تنساب رقة وعذوبة وتقطر منها مشاعر الشوق والحزن والأسى وكانت الالفاظ قد احست بما هو موجود في قلب الشاعر من حزن وشوق فتعاطفت معه ورقت

[1] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 138.
[2] المرجع نفسه ص 138.

مثلا نجد ابن فركون لم تكن الفاظه اقل عذوبة من ابيات غيره من شعراء عصره والتي امتازت ايضا بالسهولة والفصاحة حيث يقول في حنينه الى وطنه[1]

هل بعد طول تغربي وفراقي ارجو اللقاء ولات حين تلاق

هي دار احبابي وموضع صويتي ومحل جيراني وربع رفاقي

جار الزمان ببعدهم ولعلة يوما يجود بعادة الاشفاق

فلم نلحظ في هده الابيات الاخيرة لفظة من الالفاظ الوعرة او الغريبة لتي يصعب فهمها بل سلاسة فيها ورقة وسهولة التي تخرج من القلب لتلامس الاسماع والقلوب فتجعل السامع يرق لحاله ويتعاطف معه

صدق العاطفة

وحدة البناء الفني في الشعر هي الكلمة وهي القيمة الجمالية للعمل الادبي ايا كان وقد حرص الشعراء على ان تكون أعذب لفظ وأصبح معنى وأكثر اتساق في الجملة الواردة فيها الاداء الفني الجميل اساسه الدقة في اختيار الكلمة ووضعها في بيئتها وامتزاجها مع معناها اذ ليس هو في مجموعه الا طائفة من الكلمات المؤلفة المعبرة ألف الشاعر من الكلمات قطع شعرية يضفي عليها من نفسه وروحه تعبيرا عن مشاعره وعواطفه فنرى ان للعاطفة

دور كبير وبالغ في الشعر عامة وشعر الحنين خاصة "فالعاطفة هي انفعال نفسي المصاحب للنص"[2] فهي تحرك نفسي بينما الفكرة شيء عقلي فالذهاب الى الحديقة مثلا فكرة ولكن حب الذهاب اليها والتردد اليها في اوقات معينة

[1] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 141.

[2] مها روحيابراهيم الخليلي، الحنين و الغربة في الشعر الاندلسي اشراف وائل أبو صلاح جامعة نابلس فلسطين 2007 ص 143.

العاطفة هي لب الفنون وهي المعزف الذي تصدح به أوتار الادب وعليه يعزف الاديب وهي ترجمان لما يكمن من مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية وهي التي توجه الفن الى المثل العليا "[1]

صدق العاطفة تعني صدق الشاعر في شعره تعبيرا عن احساس صادق الم به فصدق الشعور من اقوى اسباب الاجادة الشعرية لدى الشاعر..."[2]

ان الشاعر الاندلسي متعلق بوطنه محب له حتى ادا ما ارتحل عنه اليه وخفق قلبه شوقا اليه لأنه ابن هدا الوطن ناشئ فيه جزء منه فقد يبدل من اجله أغلي ما يملك لأنه شعور متولد لدى كل انسان اتجاه وطنه فنرى ان الشعراء الاندلسيين سطروا شعرهم بأسمى صفحات الوفاء والحب اتجاه اوطانهم وهم على التراب الاندلسي حتى وان دفعتهم الظروف الى الخروج والارتحال والغربة عنه فقد فاضت اشعارهم بالشوق والحنين الى وطنهم بسبب الغربة والبعد مخلفين لنا دواوين شعرية خالصة في الغربة والحنين متميزة بصدق العاطفة وفيض الشعور

وعمق التجربة ورهافة الحس، والانفعالات المتفقة المغلقة بالحزن والألم.

مثلا نجد أبي حيان للغرناطي بهدف غرناطة يقول:

هل تذكرون منازلا بالاجبل و هنا نرها حفت بشطي شتل[3]

و مشاهدا و معاهدا و مناظرا للقاصرات لليعملات الذبل

حيث الرياض تفتحت أزهارها فشممت أذكى من أريح المتدل

و الطير تشدو مفصحات بالغنا فوق الغصون للناعمات الميل

[1] المرجع نفسه ص 143.
[2] نفسه ص 144.
[3] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 145.

فتثير للمشتقات داءا كامنا تذيل صائن و معه المتهلل

هذه الابيات هي من أروع النماذج الشعرية التي يضرب بها المثل في تعلق الشاعر ببلده ووطنه فهو شاعر مرهف حساس، مضطرب العاطفة، سريع التأثر والانفعال تصدر ابياته عن عاطفة صادقة وتشوق عارم إلى الوطن الذي يبتعد عنه ألا وهو غرناطة.

"خلاصة القول: أن شعر الحنين في العصر الاندلسي اتسم في معظمه بالرقة والسلاسة وصدق العاطفة، بساطة المعاني وروعة للصور كما عبر فيه الشعراء عن حبهم الصادق لأوطانهم وحنينهم إليه ودفاعهم عنها، ولعل النكبات والمصائب التي حلت بهم ونزلت بأوطانهم هي من وراء هذا الفيض الشعري الغزير، الذي خرج بأسمى مشاعر الصدق وأرق العواطف الإنسانية والقيمة الشعرية تكمن في الأساليب الشكلية والمضامين الإنسانية والمشاعر الحزينة الصادقة التي ألهبتها حرارة التجربة وشدة المعاناة".[1]

التجربة الذاتية الشعرية

الانسان في هذه الحياة مر بعدة تجارب، متباينة ومدى إحساس كل فرد بها قوة أوضعها، والشاعر انسان ليس كغيره يمر بتجارب مغايرة لأنه يحس بالموقف ويتفاعل معه نفسيا وفكريا، ثم يصوغ ذلك شعرا ليشاركه القارئ أو المتلقي أحاسيسه ومشاعره وفي هاته المشاركة يتحدد نجاح الشاعر أو فشله.

تدور التجربة في شعر الغربة والحنين حول اختيار مفارقات الحياة، وامتحان تقلبات الدهر وإعطاء صورة متكاملة عن المعاناة النفسية التي يمر بها الشاعر في الدنيا الغربة والارتحال والشاعر الحق هو الذي يتفاعل مع تجربته ويهضمها ويسيطر عليها بفكره، وقد يستغرق فيها غنيمي

[1] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 149.

هلال: " الشاعر يعبر في تجربته عما يدور في نفسه من ألم داخلي سواء يعبر عن نفسه أو عن موقف إنساني يمثله هو في شعره."[1]

يعني أن القصيدة ينبغي أن يدور مفهومها واحد فإذا تعددت المضامين والموضوعات فلن تكون تجربة واحدة كاملة مثل تجارب الشعراء الأندلسيين كانت حقيقية وكاملة لذا تضمنت موضوع واحد في كامل القصيدة الشعرية لأنها تعبر عن تجربة عاناها الشاعر وعايشها وقد استولت على احساسه وعاطفه وصدق وجدانه لهذا ألف فيها قصيدة معبرة.

قال الأمير يوسف الثالث ملك غرناطة في الحنين عند ما سجن في (قلعة المنكب):[2]

فإن سدت الأبواب بيني و بينكم ستقضي منانا شمأل و قبول

فالله ياريح الجنوب تأملي أيلقي سلامي من حبيبي قبول؟

و إن جلت بالحمراء فاقري تحيتي ديار اخلت مني فهن طلول

و هبي على القصر الكبير عليلة فإن به أهل الحبيب حلول

و قولي غريب أتلف الحب قلبه له أنه لا تنقضي و عويل !

نفهم في هذه الابيات للوجيزة أن الامير يوسف المسجون البعيد عن قصره يحدث ريح الجنوب و يقول لها أن تهب على قصره الذي مكث فيه طويلا و تخبر أهله بشوقه لهم و يحي الديار لأنها الان أصبحت اطلالا لعد تركه لها.

ومن هنا نفهم بانها تجربة ذاتية شعرية عاشها الشاعر والان يسردها في بضعة أبيات بحنين وشوق للوطن والديار والغربة عنهم.

[1] غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، مطابع الشعب، القاهرة 1964، ط3 ص 384.
[2] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 150.

ومن هنا نرى أن معظم شعراء الاندلس عبروا عن تجاربهم الذاتية بكل صدق وسردوها بأحاسيسهم ومشاعرهم الجياشة.

المزج بين الحنين و الطبيعة

بين شعر الحنين و التغني بجمال الطبيعة صلة عميقة متمازجة بينهما، لأن الطبيعة سحرت ألباب شعراء الاندلس فدفعتهم إلى التغني بجمالها، و هم على ربوعها حيث ملاعب الصبا و موطن الذكريات تحت وطئة الظروف السياسية التي أدت بهم إلى الارتحال و الغربة، فألهبت مشاعرهم و فاضت قرائحهم بالشوق و الحنين لأوطانهم، كل هاته العوامل أدت إلى الخروج بتأليف قصائد شعرية ممزوجة بالحنين و للطبيعة حيث افتتح الشاعر الاندلسي قصيدة الحنين باستهلال الطبيعة و تقديمها و قد رزت هذه الظاهرة بكل وضوح في هذا العصر فقد شاع الحنين بشكل واسع و غلب عليه الافتتاح.

بمقدمات في وصف للطبيعة: حيث قال الرندي:[1]

غريب كلما يلقى غريبا فلا وطن لديه و حبيب

نذكر أهله فبكى إشتياقا و ليس غريبا أن يبكي غريب

و مما هاج أشواقي في حديث جرى فجرى به الدمع السكوب

ذكرت به الشباب فشق قلبي ألم تر كيف تنشف القلوب

على زمن الصبا فليبك مثلي فما زمن الصبا إلا عجيب

الا ذكر الا له بكل حني بلاد الا يضيع بها أديب

بلاد ماؤها عذب ترلال و ريح هوائها مسك رطيب

[1] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 155.

بها قلبي الذي قلبي المعفى يكاد من الحنين له يذوب

(الوافر)

نرى في هذه الابيات الشاعر الرندي يشكو غربته وبعده عن وطنه، وما يعانيه من ألم نتيجة لهذه الغربة حيث يبكي لفراقها يتذكر معاهده بها، ويرسل إليها التحايا كما يصف طبيعتها **الخلابة** من ماء عذب صاف وريح طيب الرائحة إلى كل ذلك، فقد مزج الرندي بين الحنين ووصف الطبيعة وهذه ظاهرة بدت واضحة في شعر الحنين في العصر الاندلسي.

مزج شعراء الاندلس في هذا العصر شعر الحنين إلى الوطن و الاهل بشعر وصف الطبيعة لما بينهما من تآلف، إضافة لحبهم لأوطانهم و حنينهم إليها، لما ابتعدوا عن الديار لم تنسيهم الغربة بل العكس أيقظت جذوة الشوق و الحنين فبعثوا أزكى التحايا و تظموا فيها أروع الاشعار في الحنين ووصف مناظرها الطبيعية الخلابة و ذكرياتهم فيها.

فأبدع هؤلاء الشعراء وهم في ديار الغربة في تنظيم القصائد الشعرية ليس في الحنين فحسب بل في وصف الطبيعة الخلاب لأوطانهم التي خلفوها من ورائهم لهذا مزجوا الحنين بوصف الطبيعة لتخرج قصيدة حنينية في غاية الروعة والاتقان.

بناء القصيدة

اهتم النقاد العرب الأوائل ببناء القصيدة اهتمام كبيرا، حيث خضعت بنية القصيدة في العصر الاندلسي للبناء التقليدي وقد ميزوا في ذلك بين ثلاثة أجزاء تتألف منها القصيدة هي: المطلع، حسن التخلص والخاتمة. ولكل عنصر من هاته العناصر طابعه الخاص. وموقف الاندلسيين من التراث العربي وتقديمهم له جعلهم ينتهجون النهج التقليدي.

اشترط الجرجاني على الشاعر الحاذق أن يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة لأنها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور وتستميلهم للأصغاء.[1]

كما عد الناقد عن الابتداءات الحسنة في الشعر، وحسن التخلص منها والخروج إلى الموضوع ثم الخاتمة فهي تشمل كل الوحدة في القصيدة[2]، وقد التزم شعر الاندلس في معظم أشعارهم بالنهج الذي أكده النقاد وسار عليه غالبية الشعراء العرب على النحو التالي:

المطلع: حرص الشاعر الاندلسي على حسن اختيار المطلع في قصيدته كونه فاتح النص لدعوة المتلقي للدخول في عالمة للشعري. وقد أطلق عليه النقاد القدماء حسن الابتداء والاستهلاك ونال عنا يهتم لأنه " بمنزلة وجه الانسان والمفتاح للقفل"[3] وهو الباب الذي نلج فيه إلى عالم القصيدة.

اعتنى الاندلسية بمطالعهم ومن مظاهر عنا يتهم اختيار ألفاظه من السهل الانيق وتنويع للصيغ الخبرية والانشائية ليستمتع بها المتلقي.

ومن أروع الأمثلة على المطلع ما ذهب الشاعر الاندلسي ابن زمرك الذي أحسن في مطلع قصيدته وأظهر براعة الاستهلال قال:

يامن يحن إلى نجد و ناديها غرناطة قد ثوت نجد بواديها [4]

(البسيط)

السبب في ذلك أنه يبعث الشوق والتساؤل في نفسية المتلقي، كان دافعا للناس في حفظ هاته المطالع دون سائر أجزاء القصيدة الأخرى.

[1] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 157.
[2] المرجع نفسه ص 157.
[3] المرجع نفسه ص 158
[4] المرجع نفسه ص 158

التخلص: هو الخروج الشعراء من موضوع لآخر يشعر فيه القارئ بالتحام الأجزاء وتماسكها وهذا يدل على قدرة الشاعر وطول باعه.

وفي التخلص اعتمد الشاعر الاندلسي القيسي وأحسن وأبدع فيه حيث يقول:

تلك الربوع بها الفؤاد هتيم مما يحن لها أبي التنقيلا [1]

(الكامل)

فقد تخلص الشاعر من الابيات الأولى التي وصف فيها جمال الطبيعة ثم خلص بعد ذلك إلى الحنين إلى ربوعها.

الخاتمة: اهتم النقاد كثيرا على ما ينبغي أن تكون عليه نهاية القصيدة لأنها آخر ما يبقى من الاسناع، لأنه أول الشعر مفتاح له فينبغي أن يكون آخره قفلا عليه فيجب أن تكون نهاية القصيدة مناسبة للغرض الذي نظمت من أجله ويكون أجود أبيات لها.

مثل قول الشاعر في وصف الذكريات مستفيضا بالتنقل من مدينة إلى أخرى إلى أن يحسن الختام يقوله:

سوف أنثني راجعا لا غرني بعد ما جربت برق خلب (المديد).[2]

[1] مها روحي إبراهيم الخليلي، المرجع السابق، ص 141.
[2] نفسه ص 161.

القصيدة 01

الأرض بين مدبج و محلل و الروض بين متوج و مكلل

و الزهر بين مورد و مورس و النشر بين ممسك و مصندل

و الماء قد صقل النسيم فرنده فتوحشت منه الرياض بمصندل

لويت مذاهبه على أدواحها فاختلن بين المنطق و مخلخل

ما ذاك سجع نسيبه في ظلها لكنه و سواس هاتيك الحلي

أهلا بأيام الربيع و طيبها أنس الخليع و نزهة المتبتل

زمن أرق من الوداد شمائلا و ألذ من عصر الشباب الأول

تذكي بلابله البلابل لوعة و لرب بلبال يهيج لبلبل

أعجب به من مهرجان قائم بين البسيطة و الحيا المتهلل

حشد الرياض له جنود جماله و أتى بحافل جنده في جحفل

فالطير تشدو و الغدير مصفق و القضب ترقص و الأزاهر تنجلى

و عرائس الأشجار تحلى في حلى خضر، و لا وجه العروس إذا جلي !

ما إن ترى عرسا بأجمل منه في عين الشجي إن غاب عين الخلي

فاعطف على وجه الزمان وحيه و انظر على حسن الربيع المقبل

واجل لحاظك في صفاح كتابه حتى واضحا من مشكل

و إن اعتراك عشى لينير نوره فاعدل لا ثمد ظله فتكحل !

من لم يشاهد موقع الحسن الخفي من منظر لم يدرها الحسن الجلي

فالحسن وضحت شواهد فضلة للمجتني كوضوحها للمجتلي

و لرب وردة دوحة حيث بها جاما تلهب نوره في أنمل

يندى على جنباته قطر الندى فأعجب له ماءا و نارا قد ملي

قد حجبت في ظلها فتبسمت عن قرقف و تنسمت عن مندل

ما فتح الزهر الجني ثغوره إلا ليرشف طيب ذاك السلسل

كلا و لا جمدت عيون بهاره إلا لغيرتها عليه أو فل؟

هذي البلابل قد سجعن لشرب تشدو وتنشد في **(الثقيل الأول)**

أي مطربة الخلي بعثت لي آسف الشجي، ردي علي و بدلي

ما غدرها و للورد مورد عشقها لو لم تغن بحسنه و تغزل

فالروض قد فتح الحيا في خده وردا سبى ورد الحياء المخجل

عجبا و حتى الحسن يعشق بعضه بعضا، لقد أزرى الهوى بالعذل

لطف من الاحسان أعجزت الورى أوصافها، سبحان مبدعها العلي ! [1]

[1] سعد بن ماشي العنزي، الرؤية و التشكيل في شعر ابن خاتمة الانصاري الاندلسي الجامعة الأردنية كلية الدرسات العليا 2009- ص 138-139

التحليل

مناسبة القصيدة

تجري هذه القصيدة مجرى قصائد وصف الطبيعة الاندلسية بعد البعد عنها وللهجرة والغربة والارتحال عن الوطن.

ابن خاتمة في هذه الابيات يقوم بوصف أيام الربيع في البيئة الاندلسية و جمالها و يتذكر الأيام المماثلة لتلك التي عاشها في ربيع زاهر مشرق كجنة حاضرة في الدنيا ، و يدعو السامع و المتلقي للتدبر في كتاب الكون في قدرة الخالق على العظمة و لمنزلة في خلق هذا الجمال الفتان كعرس في الطبيعة العين لم تر له مثيل أجمل منه.

تعتبر قطعة من نعم الله التي لا تحصى في كل مظاهر الحسن والجمال.

الخصائص الفنية في القصيدة

1-سهولة اللفظ

تميزت ألفاظ إبن خاتمة في أبيات قصيدته بالسهولة في الذوق السليم و الحسن الاختيار في وصف مظاهر الجمال و قدرة الله سبحانه و تعالى في خلق روضة في جنة الدنيا مثلا في:

الأرض بين مدبج و محلل و الروض بين متوج و مكلل

و الزهر بين مورد و مورس و النشر بين ممسك و مصندل

و الماء قد صقل النسيم فرنده فتوحشت منه الرياض بمصندل

قد استهله بوصف الأرض في هذا الفصل الفتان وقارنها بالروض الجنان (الأرض بين مديح ومحلل والروض بين متوج ومكلل)

كذلك نجده يستعمل كلمات سهلة و بسيطة في قوله:

فالطير تشدو و الغدير مصفق و القضب ترقص و الأزاهر تنجلى[1]

و عرائس الأشجار تحلى في حلى خضر، و لا وجه العروس إذا جلي !

ما إن ترى عرسا بأجمل منه في عين الشجي إن غاب عين الخلي

يصف الشاعر الربيع وصفا شاملا دقيقا في كل تفاصيله فلتقط لنا صورا الاطيار تشدو والغدير مصفق والقضب ترقص والازهار تنجلي، إنه عرس جماعي تحلى فيه عرائس الأشجار في حلها الخضر فيفوق جمالها كل عروس بحليها المذهب، وهي ألفاظ ولكمات سهلة في إبراز جمال الطبيعة الاندلسية في الفصل الربيعي.

2- صدق العاطفة

تتجلى عاطفة الشعر في هذه الابيات بالصدق والإحساس المرهف في وصف الطبيعة الاندلسية مفعمة بحب الجمال هائمة به مؤمنة بالمظاهر كلها لها دلالة واحدة هي قدرة الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى حيث يقول:

و لرب وردة دوحة حيث بها جاما تلهب نوره في أنمل

يندى على جنباته قطر الندى فأعجب له ماءا و نارا قد ملي

قد حجبت في ظلها فتبسمت عن قرقف و تنسمت عن مندل

ما فتح الزهر الجني ثغوره إلا ليرشف طيب ذاك السلسل

كلا و لا جمدت عيون بهاره إلا لغيرتها عليه أو فل؟

هذي البلابل قد سجعن لشرب تشدو وتنشد في **(الثقيل الأول)**

[1] سعد بن ماشي العنزلي المرجع السابق ص 138.

أي مطربة الخلي بعثت لي آسف الشجي، ردي علي و بدلي

ما غدرها و للورد مورد عشقها لو لم تغن بحسنه و تغزل[1]

في هاته الابيات ابن خاتمة يستلهم العاطفة الخاصة به في وصف جمال الطبيعة الاندلسية حيث يركز على تفاصيل جزئية دقيقة حيث هذه دوحة تحي بوردة والورد كأنها في جام من فضة، الوردة كأنها جمرة من نار وما حولها كأنه أنامل جميلة وقطرات الندى على جنباتها، ابن خاتمة الشاعر المغترب المتشوق لوطنه في أبياته الوجيزة يضرب به المثل في تعلقه بوطنه ووصفه له بتأثر سريع ومتفعل وعاطفة مضطربة وصدق في المشاعر.

3- التجربة الذاتية الشعرية

تجربة الشعر الذاتية في تأليفه الشعري هذا تكمن في معايشته الطبيعة الاندلسية لأنها موطن له و بهد غربته و ارتحاله منها فنرى في أبياته قد عايش تلك البيئة لهذا هو يصف لنا الربيع في الطبيعة الأندلسية حيث يقول:

فالعطف على وجه الزمان وحيه و انظر على حسن الربيع المقبل[2]

واجل لحاظك في صفاح كتابه حتى واضحا من مشكل

هنا الشاعر يدعو المتلقي للنظر في الربيع و يدعوه إلى الالتفاف في حسنه بالتأمل في صفحات كتاب الله سبحانه و تعالى، (انظر على حسن الربيع المقبل) تفهم بأنه عاش ذلك المنظر الرائع فهو يدعو القارئ ليعايشه هو كذلك.

[1] نفسه ص 138.
[2] سعد بن ماشي العنزي المرجع السابق ص 138.

4- المزج بين الحنين و الطبيعة

هذه الابيات الشعرية غلبت فيها صفة التغني بالطبيعة حيث ابن خاتمة في بعده عن موطنه و حنينه لها يتغنى بشوق و إحساس مرهف متغنيا بها بوصف الطبيعة في الربيع و هذا كله راجع لبعده عن الديار فالغربة لم تنسيه موطنه بل جعلت منه يتفجر بالمشاعر الملتهبة و القرائح و الفائضة في تأليف قصيدة ممزوجة بشوقه و حنينه مع وصف لطبيعة بلده المغترب عنه في غاية الروعة و الاتقان حيث يقول:

أهلا بأيام الربيع و طيبها أنس الخليع و نزهة المتبتل

زمن أرق من الوداد شمائلا و ألذ من عصر الشباب الأول

تذكي بلابله البلابل لوعة و لرب بلبال يهيج لبلبل

أعجب به من مهرجان قائم بين البسيطة و الحيا المتهلل

حشد الرياض له جنود جماله و أتى بحافل جنده في جحفل

فالطير تشدو و الغدير مصفق و القضب ترقص و الأزاهر تتجلى

و عرائس الأشجار تحلى في حلى خضر، و لا وجه العروس إذا جلي !

ما إن ترى عرسا بأجمل منه في عين الشجي إن غاب عين الخلي [1]

يمزج ابن خاتمة وصف الطبيعة بحنيته لوطنه حيث وقف على جمال الربيع و أيامه الربيع و طيبها) و يلتقط صورا الاطيار و الازهار بتغرد و تجلي و الأشجار في عرس جماعي في حلي أخضر و يتفكر أيام عصر شبابه الأول و هو في موطنه (زمن أرق من الوداد شمائلا و الذهن

[1] سعد بن ماشي العنزي المرجع السابق ص 138.

عصر الشباب الأول) هنا نجده قد مزج بين الحنين و الطبيعة بوصفه الربيع و شوقه للأيام التي عاشها خاصة في الفترة الربيعية.

5- بناء القصيدة

خصص ابن خاتمة في قصيدته ميزة خاصة البناء و اهتم بها حيث اجتهد في عمل ذلك بثلاث خصائص: المطلع، حسن التخلص و الخاتمة.

المطلع: استحسن ابن خاتمة في شعره على انتقاء الأفضل في مقدمة القصيدة و كما سماها النقاد بالمطلع أو الاستهال و هي بوصفه الأرض الاندلسية من ماء و زهر و مقارنتها في الروض في قوله:

الأرض بين مديح و محلل و للروض بين متوج و مكلل

و الزهر بين مور و مورس و للنشر بين ممسك و مصندل

و الماء قد صقل النسيم فرنده فتوشحت منه الرياض بمصندل[1]

نجد في مطلعه هاته القصيدة استعمل الشاعر الفاظ سهلة و بسيطة و نوع في الصيغ الخبرية و الانشائية ليستمع القارئ بها و في محاولة من الشاعر ليستحوذ فكر المتلقي في مزيد من أبيات القصيدة لمعرفة ما تسرد بقيتها لهذا المطلع هو مثل الباب الذي تدخل به إلى القصيدة حسن التخلص: لقد طبقة ابن خاتمة في شعره و فيه بحس المتلقي بالتحام أعضاء القصيدة و عنصرها و أنه لم يطأ تعتبر فيها، في قوله:

أهلا بأيام الربيع و طيبها انس الخليج و نزهة المتبتل

زمن ارق من الوداد شمائلا و ألذ من عصر الشباب الأول

[1] نفسه 138.

نذكي بلابله البلابل لوعة و لرب بلبال يهيج لبلبل[1]

تخلص ابن خاتمة فجأة بعدما كان في المطلع يصف الأرض الاندلسية ثم خلص إلى الترحيب بقدوم الربيع و إعجابه بمناظره المنعشة التي تسلب خاطر المتلقي الذي يقرأ ابيات القصيدة.

الخاتمة: هي نهاية ما تبقى من القصيدة و الشعار هنا قد اعتمدنا في ختامه و طبق هذا العنصر الأخير، حيث يقول:

فالروض قد فتح الحيا في خده وردا سبى ورد الحياء المخجل

عجبا و حتى الحسن يعشق بعضه بعضا، لقد ازرى الهوى بالعذل

لطف الاحسان أعجزت الورى أوصافها، سبحان مبدعها العلي !

الشاعر المغترب يبين للقارئ و السامع بأن هذا الخلق العظيم ليس له مثيل في قوله تعالى:" هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين"[2] و تفهم في خاتمته أن خلق الله سبحانه و تعالى يجعل العبد في تأمل و تدبر و الشاعر لم ينس دينه و لا أصله على الرغم من بعده و غربته في بلاد الغربة.

[1] سعد بن ماشي العنزي المرجع السابق ص 139.
[2] نفسه ص 139.

القصيدة 02

من لم يشاهد موقفا لفراق لم يدر كيف توله العشاق

إن كنت لم تر فسائل من رأى يخبرك عن ولهي و هول سياق

من حر أنفاس و خفق جوانح و صدوع أكباد وفيض واق

دهي الفؤاد فالسان ناطق عند الوداع طايع متراق

استودع الله حبيبا نأى عيني و إن ظل الحشا مربعه

يا رب حفظك ترحاله ما إن يضيع الله مستودعه

اشاقك سلع أم هفت ذكراه فساعات هذا الليل عندك أشباه

و هل ما سرت من نسمة ريح أرضها و إلا فهذا الجو تعبق رياه

نعم شاقني سلع و ذكر عهوده فآه لأيام تعقضت به آه

كيف غرناطة و من حل فيها حبذا الساكنون تلك الديارا

كيف أحباب مهجتي روح روحي نور عيني، الحاذر الاقمارا

إذا ما النوى إذ كف بقلبي حمرة فهاج لها بين الضلوع غليل

برزت لأستشفي نسيم ربوعهم إذا هب بالاسحار و هو بليل

و من أعجب الأشياء و هو تعلل طبيب يداوي الناس و هو عليل

سألته يا حبيبي ما بلوحك ؟قل ! فقال لي: إنني في سورة القمر !

قالوا ألم تر كيف صورته فإذا به في صورة الشمس[1].

التحليل

مناسبة القصيدة: كتب ابن خاتمة هاته الابيات لمعبرة عن حزنه و شوقه و بعده عن بلاده في الاندلس مسقط رأسه غرناطة المسماة كذلك بدمشق الاندلس لأن اهل دمشق نزلوا بها كثيرا ووجدوا فيها كل ما يشبه دمشق من قصور و أشجار و أنهار...الخ، و مناسبة ذلك رحيله عنها و غربته فانفجرت أحاسيسه المرهفة لها و المشتاقة لرؤيتها و عاطفة المضطربة بعد تعلقه بها فتأثر بذلك و انفعل ليخرج في الأخير بتوظيف تلك العاطفة كلها و سردها في بضعة أبيات شعرية ممزوجة بالحنين و الغربة مع وصف الطبيعة آنذاك متمنيا لقياها مرة ثانية.

الخصائص الفنية للقصيدة الشعرية:

1- سهولة الالفاظ

حرص أغلبية الشعراء في العصر الاندلسي في استعمالهم أحسن الالفاظ جزالة ووقعا على السمع و إيقاظا للنفوس لإثارة عواطف و أحاسيس المتلقي للتأليف الشعري و من بينهم ابن خاتمة ففي قصيدة الشوق و الحنين لبلده غرناطة انتقى أمعن الالفاظ سهولة فنجده يقول:

كيف غرناطة و من حل فيها حبذا الساكنون تلك الديارا[2]

كيف أحباب مهجتي روح روحي نور عيني الحاذر الأقمارا

استخدم الشاعر التعابير الدارجة (نور عيني– روح روحي) و هي اتسمت بالرقة و اللين و الفصاحة و السهولة فتميزت بالسلاسة لتلامس قلب المتلقي فيتعاطف مع الشاعر.

[1] مها روحي إبراهيم الخليل- المرجع السابق ص 209-210.
[2] مها روحي إبراهيم الخليل- المرجع السابق ص 209.

2- صدق العاطفة

تميزت عاطفة ابن خاتمة بالصدق في شعره، لأن شعوره أصدق واقوى مما أدى به إلى الاجادة الشعرية في قصيدته والظروف الاجتماعية والسياسية هي ما أدت به إلى الغربة والحنين إلى وطنه ومع ذاك لم تنسيه فيه فألف قصائد شعرية يتغنى فيها عن وطنه بعاطفته المفعمة بالاشتياق والحنين فنجده يقول:

من لم يشاهد موقفا لفراق لم يدر كيف توله العشاق[1]

إن كنت لم تر فسائل من رأى يخبرك عن ولهي و هول سياق

من حر أنفاس و خفق جوانح و صدوع أكباد وفيض واقد

عاطفة ابن خاتمة صادقة في هذه الابيات و فيها يوضح الشاعر شوقه و حنينه إلى الديار بعد فراقه و احساسه كالعاشق عند فراقهم فهو عاشق لموطنه و أنفاسه تخفق جوانح و أكباده صدوع كفيض واق فنؤى بان عاطفته صادقة نحو موطنه مضطربة متعلقة به.

التجربة الذاتية الشعرية

الشاعر يسرد تجربته الذاتية في شعر بعد معايشته لذلك فيسرده في ابيات شعره فيها يعطي صورة كاملة عن معاناته في ديار الغربة و هو بعيد عن وطنه و ترى ذلك:

أشاقك سلع أم هفت ذكراه فساعات هذا الليل عندك أشباه[2]

و هل ما سرت من نسمة ريح أرضها و إلا فهذا الجو تعبق رياه

نعم شاقني سلع و ذكر عهوده فآه لأيام تعقضت به آه

[1] مها روحي إبراهيم الخليل- المرجع السابق ص 209.
[2] نفسه ص 209.

يوضح الشاعر من خلال الابيات شوقه وحنينه إلى الديار وكلما هبت ريح الصبا ولمع البرق فإنهما يثيران أشجانه ويفجر هيامه إلى تلك الأماكن فهو يتذكر أياما قضاها هناك وله فيها ذكريات جميلة عاشها فيها والقصيدة تدور في مضمون واحد وتجربة كاملة حقيقية عاناها الشاعر عايشها استولت على إحساسه فجعلت منه يسردها في أبياته الشعرية.

المزج بين الحنين والطبيعة

تظهر هذه الظاهرة (المزج بين الحنين والطبيعة) كثيرا في القصيدة الشعرية فابن خاتمة يشكو غربته وبعده عن وطنه غرناطة وما يعانيه من ألم هذه الغربة والفراق فيصف طبيعتها الخلابة وذكرياته التي عاشها فيها حيث يقول:

اشاقك سلع أم هفت ذكراه فساعات هذا الليل عندك أشباه[1]

و هل ما سرت من نسمة ريح أرضها و إلا فهذا الجو تعبق رياه

يمزج الشاعر الانصاري ابن خاتمة في شعره بين الطبيعة و الحنين في شوقه للديار كلما هبت الريح و لمع البرق فيثيران اشجانه و يفجران هيامه ليتذكر الأيام التي عاشها، مما أدى به ذلك إلى الألم و الحسرة بعد الفراق و الغربة، فقد تفوق في المزج بينهما و برع في ذلك العمل بإتقان.

5- بناء القصيدة

وظف الشاعر هذه الخاصية في قصيدته الحنينية حيث تمثلت عناصر هي:

أ) المطلع: وهو مقدمة القصيدة التي تفتح به النص الشعري ة ابن خاتمة هنا قد وظفه في قوله:

من لم يشاهد موقفا لفراق لم يدر كيف توله العشاق[2]

[1] مها روحي إبراهيم الخليل- المرجع السابق ص 209.
[2] المرجع نفسه ص 209.

إن كنت لم تر فسائل من رأى يخبرك عن ولهي و هول سياق

من حر أنفاس و خفق جوانح و صدوع أكباد وفيض واق

دهي الفؤاد فاللسان ناطق عند الوداع طايع متراق

استودع الله حبيبا نأى عيني و إن ظل الحشا مربعه

الشاعر باشر في مطلعه بأن شعوره و أحاسيسه اتجاه وطنه و حنينه يشبه فراق العشاق لبعضهم البعض لأن الشاعر في قصيدته هو عاشق لوطنه، لهذا نرى أن أنفاسه تخفق و أكباده تصدع بالفيض للواق فقد فارق موطنه بذكر ربه عز و جل

مستودعا إياه في بلاد الغربة مستعملا ألفاظا سهلة تجعل قارئ شعره يتطلع لإكمال قراءة القصيدة ومعرفة المزيد مما تحتويه.

حسن التخلص: هو الولوج إلى محتوى القصيدة بعد قراءة مطلعها وفيه تلتحم كافة الأفكار والتفاصيل التي تصف الحال النفسية للشاعر حيث يقول:

أودع قلبي يوم ودعته من برحاء الوجد ما أودعه[1]

يا رب حفظك ترحاله ما إن يضيع الله مستودعه

اشاقك سلع أم هفت ذكراه فساعات هذا الليل عندك أشباه

و هل ما سرت من نسمة ريح أرضها و إلا فهذا الجو تعبق رياه

نعم شاقني سلع و ذكر عهوده فآه لأيام تعقضت به آه

كيف غرناطة و من حل فيها حبذا الساكنون تلك الديارا

[1] مها روحي إبراهيم الخليل- المرجع السابق ص 209.

كيف أحباب مهجتي روح روحي نور عيني، الحاذر الاقمارا

إذا ما النوى إذ كف بقلبي حمرة فهاج لها بين الضلوع غليل

تخلص الشعر من مطلعه بوصف أحاسيسه وعاطفته اتجاه وطنه لدرجة عشقه له ثم خلص بعد ذلك بالولوج إلى عمق القصيدة فيها يودع قلبه من كثرة الحزن على الفراق ويتذكر الأيام التي عاشها ويصفها لنا مع ذكر تفاصيل صغيرة عن غرناطة وحنينه لها شوق ملؤه الحسرة والألم.

الخاتمة

يقول ابن خاتمة في نهاية قصيدته:

برزت لأستشفي نسيم ربوعهم إذا هب بالاسحار و هو بليل[1]

و من أعجب الأشياء و هو تعلل طبيب يداوي الناس و هو عليل

سألته يا حبيب ما بلوحك ؟قل ! فقال لي: إنني في سورة القمر !

قالوا ألم تر كيف صورته فإذا به في صورة الشمس

ختم الشاعر قصيدته بقوله إنه على الرغم من أنه عليل فهو كالطبيب يشفي ويداوي أقرانه من الشعراء في بلاد الغربة ويحاول جاهدا أن يخفف عنهم الألم محاولا إيجاد من يخفف عنه هو، وأخيرها يسأل ابنه الذي خلفه من ورائه في دياره بغرناطة مشبها إياه بالشمس والقمر لما يراهما ليلا ونهارا يتأمل ويرى صورة ابنه فيهما، وهنا نجده قد أحسن ختامه لأبياته الشعرية.

[1] المرجع نفسه ص 210.

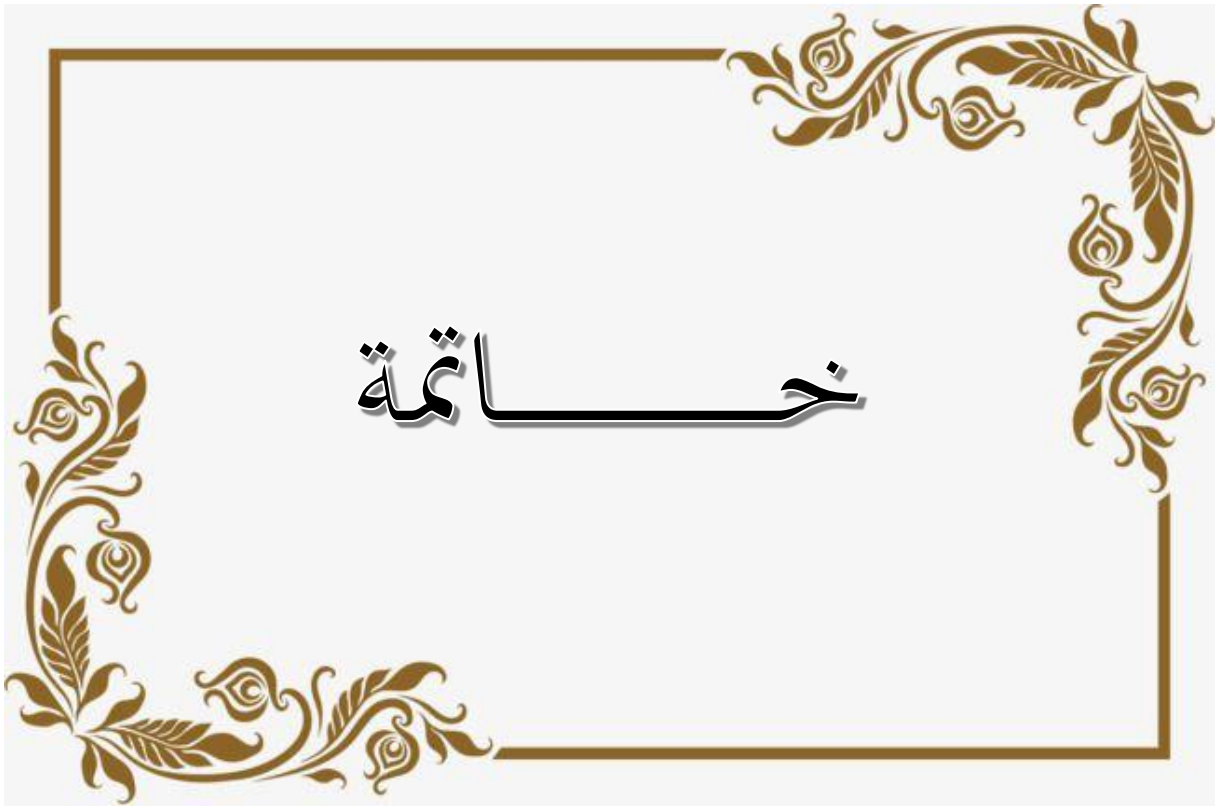
خـــــــاتمة

خاتمة:

-الحنين والغربة فن شعري أصيل يرتبط بالحياة فهو من الفنون التي تعني بتصوير جوانب وتكشف عن الكثير من الحقائق التي يغلبها التاريخ وهي مثال صادق لمرحلة تحمل في طياتها أحدث سياسية وفن داخلية امتدت إلي أكثر من قرنين ونصف ولما كان لابد لكل بحث من نهاية فلا بد ان أنهي بحثنا هذا بأهم ما توصلت إليه من نتائج إثر دراسة الغربة والحنين في الشعر الأندلسي عند أبن خاتمة الأنصاري وهي :

1-لشعر الغربة والحنين جذور مشرقية قديمة ممتدة العصر الجاهلي وصولا إلى العصر الأندلسي إلا أن هذا الغرض ازدهر و توسع في هذا العصر كما و كيفا حتى أصبح ظاهرة تميزه.

2- من خلال البحث في أسباب ذيوع سعر الغربة والحنين عقد شعراء الأندلس نجدها تتجلى في : الرحلة ' سقوط المدن الأندلسية 'أيسره للسجن و الاعتقال ' النكبات الشخصية والعامة 'هجرة الكثير للأندلس خاصة أبناءها.

3- اللافت للنظر أن الشعر الغرب والحنين أقتصر على الشعراء الرجال دون الشاعرات من النساء فلم يكن للمرأة حضور فيه من خلالها نظمها للإشعار الحنينية ' علما أنه كان له حضور بارز في شعر الحنين لدى الشعراء كأم وزوجة بنت وحبيبة .

4- إن نظرة نقدية في شكل فني تبين لنا أن الشعراء في هذه الفترة كانوا قادرين على إحكام بنية قصائدهم الشعرية لا سيما في موضوع الغربة والحنين كما تظهر إجدتهم في نظم المقطعات الشعرية التي انتشرت انتشارا واسعا في عصرهم وخاصة في موضوع الاغتراب والحنين .

5- صدر موضوع الغربة والحنين عن عاطفة صادقة وإحساس مرهق ونفوس متعبة تجرعت مرارة الغربة فكان حنين بعض الشعراء إلى الوطن من اصدق ما قيل في هدا الاتجاه وقد اقسم في معظمه بسلامة الأسلوب وبساطة المعاني والألفاظ وروعة التصور.

6- ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي شاعر المرية في القرن الثامن هجري لم يكن شاعرا فحسب بل كان ذا مكانة علمية ودينية رفيعة.

7- كتب ابن خامة ديوانه بخط يده سنة (837هـ)والدي قام بجمعه وتحقيقه الدكتور محمد رضوان الداية وقسمه الشاعر إلى خمسة أقسام :

الأول : في المدح والرثاء

الثاني : في النسب والغزل

الثالث :في الملح والفكاهات

الرابع: في الوصايا و الحكم

الخامس: سماه نبذة في الموشحات.

8- حافظ ابن خاتمة على سلامة العبارة ودقة الاستعمال وكان متأثرا بأعلام الشعر العباسي والأندلسي كأبي تمام والمتنبي و ابن خفاجة.

9- مال الشاعر إلى طريق الشعراء المحدثين مع الاحتفاظ في العبارة بقدر عال من الفخامة والجزالة و الاهتمام بالتصور و الخيال .

10- اهتم ابن خاتمة بفن وصف الطبيعة متابعا جنان الأندلس ابن خفاجة ومن ساروا على دربه من الشعراء ’حتى قدم لسان الدين بن الخطيب لبعض قصائده بقوله ومن روضياته.

الملاحق

تراجم شعراء الحنين و الغربة

إبن خفاجة (450-533هـ/1085-1138م)

إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري، يكنى أبا إسحاق، ولد بجريرة شقر، من أعلام الشعراء الأندلسيين في اقرنين الخامس والسادس هجري.

الرصافي البلنسي، محمد بن غالي الرصافي الكنى بأبي عبد الله، شاعر أندلسي، ولد في رصافة بلنسية، توفي سنة 572 هـ/1177م.

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي:

هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، من أهل رندة، و قد اختلفت المصادر في كنيته فهة تارة (أبو الطيب) و أخرى (أبو محمد) فيما كناه المغربي بأبي البقاء، ولد أبو البقاء سنة601 هجرية، يصفه " ابن عبد الملك في (التكملة) أنه خاتمة أدباء الاندلس، و مان بارعا في النثر و النظم معا، عاش الرندي في عصر الفتنة الكبرى التي اضطرمت الاندلس في أواسط القرن السابع هجري، و قال في المحنة مرثيته الشهيرة، توفي سنة أربع و ثمانين و ستمائة.

أبو المطرف بن عميرة المخزومي:

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي، ولد بجزيرة شقر وقيل ببلنسية في رمضان سنة إثنين وثمانين وخمسمائة، لم يكن من بين نباهة، كان اول طلبه للعلم، شديد العناية بشأن الرواية، فأكثر من سماع الحديث، وأخذه عن مشايخ أهله، وتفنن في العلوم، ومال إلى الادب، فبرع فيه براعة، عد بها من كبار مجيدي النظم، توفي بتونس سنة ستة وخمسين وستمائة هجرية.

لسان الدين بن الخطيب:

هو الوزير الكاتب الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد بن سعيد التلمساني، يلقب بلسان الدين، ولد في لوشة من أعمال غرناطة سنة 713 هجرية، و انتقل والده إلى غرناطة، و عمل في بلاط

ملوكها بنى نصر، نشأ بغرناطة و قرأ و تأدب، كتب فب ديوان الانشاء، و لما توفي "إبن الجياب حل محله في الوزارة و الكتابة فلقب بذي الوزارتين، توفي سنة 776 هجرية.

أبو عبد الله بن جابر الضرير

هو الفقيه الضرير محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري، يكنى " أبا عبد الله"، و هو من أهل المرية، ولد سنة 698 هجرية، ارتحل عن الاندلس إلى المشرق فحج و استوطن مدينة حلب، و درس بها العلوم، و قد عرف ابن جابر في المشرق بلقب (شمس الدين) صاحب بديعية العميان، توفي في ألبيرة سنة 780 هجرية.

أبو جعفر الالبيري:

هو أحمد بن يوسف بن مالك، يكنى أبا جعفر، و يعرف بالرعيني الغرناطي، و هو صاحب ابن جابر الضرير، و شارح بديعته، ولد بعد سنة 700 هجرية، رافق إبن جبير و رحل معه فأديا الفريضة، و سمعا بدمشق من أبي الطاهر الخشوعي، و أجاز لهما أبو محمد ابن أبي عصر فن و أبو محمد القاسم بن عساكر و غيرهما، و دخلا بغداد و تجولا مدة، ثم قفلا جميعا إلى المغرب، فسمع منهما به بعض ما كان عندهما، و كان أبو جعفر متحققا بعلم الطب، و له فيه تقيد مفيد مع المشاركة الكاملة في فنون العلم، و توفي أبو جعفر بمراكش سنة ثمان، أو تسع و تسعين و خمسمائة، و لم يبلغ الخمسين في سنة، رحمه الله تعالى.

ابن جزي الكلبي:

هو محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ولد سنة 693 هجرية، من أهل غرناطة وأصل سلفه من ولية بولاية الغرب، كان فقيها حافظا مشاركا في فنون كثيرة، ولاسيما اللغة والفقه، والقراءات والادب، اشتغلا بالتدريس بغرناطة، وتولى منصب الخطابة بالجامع الأعظم وله عدة مؤلفات منها كتاب (السهيل لعلوم التنزيل) وغيره من الكتب، توفي قتيلا في موقعة طريف سنة 741 هجرية.

أبو حيان الغرناطي:

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، أثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني النفزي، ولد بمطخشارش من غرناطة في العشر الأخير من شوال سنة 654 هجرية، وبعضهم يذكر أنه ولد في آخر شوال سنة 652 هجرية، تلقى علومه الأولى في مسقط رأسه غرناطة على شيوخ عصره، ز لم يطل المقام به الاندلس فغادرها سنة 678 هجرية ضاربا في طول البلاد وعرضها حتى استقر به المقام في القاهرة، لقي حظوة سلاطين فعين مدرسا، وتنقل في بلاد عدة فذهب إلى مكة، كما ذهب إلى الشام ثم عاد و استقر في مصر حيث توفي في القاهرة سنة 745 هجرية، و دفن بمقبرة الصوفية.

ابن سعيد الاندلسي: (610-685هـ)(1214-1286م)

أبو الحسن نور الدين علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المدلجي المغربي الاندلسي المالكي، من ذرية الصحابي الجليل عمار بن ياسر، ولذلك يقال له أيضا العماري، نحوي، لغوي، مؤرخ رحالة من الشعراء والعلماء بالأدب ولد بغرناطة، وقيل في قلعة (يحصب).

ابن زيدون:

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيد المخزومي، المعروف بابن زيدون (394هـ/1003هـ) في قرطبة، أول رجب، فرير و شاعر و كاتب أندلسي، عرف بحبه لولادة بنت المستكفي.

الرصافي البلنسي:

محمد بن غالب الرصافي المكنى بأبي عبد الله شعر أندلسي، ولد في رصافة بلنسية فهو رصافي بلسني، توفي يوم الثلاثاء 09 رمضان سنة 572 هـ/1177م.

الملك الشاعر يوسف الثالث:

هو السلطان أبو الحجاج يوسف الملقب بالنصر الدين الله بن السلطان أبي الحجاج يوسف المستغني بالله بن السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله، ولد في السابع والعشرين من صفر من عام ثمانية وسبعين وسبعمائة، أبعده أخوه إلى سجن شلوبانية ليستولي على العرش بدلا منه،

وبقي في سجنه حتى عام 810 هجرية، وكتب قصائد متعددة أيام سجنه التي سماها (أيام الوحشة)، توفي سنة 820 هجرية.

أبو الحسين بن أحمد بن سليمان (ابن فركون).

هو أبو الحسن بن أحمد بن سليمان بن أحمد بم محمد المعروف بابن فركون، ولد عام 781 هجرية، وقد ورث عن أبيه الذكاء الحاد والنبوغ المبكر فبدأ يقول الشعر منذ طان طالبا صغيرا، أما جده سليمان بن فركون فقد كان من أهل العلم إذ أنه استجازه لوالده أحمد في بلده، مدح ابن فركون السلطان النصري، ومنذ ذلك الحين أصبح شاعر البلاط النصري.

أبو عبد الله بن زمرك:

هو محمد بن يوسف بم محمد الصريحي الشهير بأبي عبد الله بن زمرك، ينحدر من أسرة فقيرة تنسب أصلا إلى شرقي الاندلس، ثم انتقل إلى غرناطة، ولد في 14 شوال من عام 733 هجرية، درس النحو والفقه والأصول، زج به في السجن بقصبة المرية على خلفية أحداث سياسية وبعد عشرين شهرا نال حريته مخلفا لنا أشعارا في الحنين إلى غرناطة، توفي سنة 797 هجرية.

إبن الابار القضاعي:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، كان مولده في بلنسية سنة خمس وتسعين وخمسمائة للهجرة، كان ذو مكانة لدى أهله، تتلمذ على يد أبيه في القرآن والفقه والحديث وعلوم اللغة، إلا أنه كان خبيث اللسان إذا هجا، ولعل ذلك ألزم البعض بتسميته بابن الابار من النميمة والدس والقدرة على الإيقاع والايذاء، قتل وأحرقت جثته وكتبه وأوراقه بسبب سوء سلوكه، كانت وفاته سنة 658 هجرية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. احسان عباس تاريخ الادب الاندلسي، عصر الطوائف و المرابطين، دط، دت.
3. احسان عباس تاريخ الادب الاندلسي، عصر سيادة قرطبة دار الثقافة بيروت، لبنان،ط2، 1969.
4. إمليو غاثيا غومس، مع شعراء الاندلس و المتنبي تر، حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية 1969.د6.
5. بالنثيا أنخر جنثالث، تاريخ الفكر الاندلسي تر، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1955.
6. بوقرورة، عمر ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962) مركز منشورات جامعة باتنة الجزائر- د.ت ص 13.
7. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية مادة غرب
8. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة تح، محمد عبد الله عنان، ج1، ط2 مكتبة الخانجي القاهرة، دت.
9. الداية محمد رضوان، في الادب الاندلسي، دار الفكر، دمشق، ط1 2000م
10. ديوان ابن خاتمة الأنصاري، تح الداية محمد رضوان دار الحكمة دمشق 1971.
11. الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة غرب، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، مج1، ص 404-412.
12. أبو سعود سلامة أبو السعود الادب العربي في مختلف العصور العلم و الايمان للنشر و التوزيع، 2007، د ط.
13. شوقي أحمد، الشوقيات، ط13 ، بيروت ، دار الكاتب العربي، 1422هـ 2001م - ج2-
14. شرح ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التريري، تح راجي الأسمر دار الكتاب العربي 1994 ج2 دط.
15. الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس- تح إبراهيم الابياري، المجلد 14 -ج1- دار الكتاب المصري،ط1، 1989 م -1410هـ

16. عبد العزيز محمد عيسى، الادب العربي في الاندلس، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1945، دط.
17. عتيق عبد العزيز الادب العربي في الاندلس دار النهضة العربية للطباعة و النشر 1976، بيروت، دط.
18. غنيمي هلال النقد الادبي الحديث، مطابع الشعب القاهرة، 1964، ط3.
19. فوزي عيسى، الادب الاندلسي النثر، الشعر، الموشحات، دار المعرفة، الجامعية، دت.

عيسى فوزي، الادب الاندلسي القسم 01، موضعات الشعر، دط، دت.

عيسى فوزي، الشعر الاندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء الاسكندري، ط1 2008
20. الفيروز آبادي مجد الدين قاموس المحيط، جزء 05 دار المعارف مصر، 1979.
21. إبن قيم ، الجوزية، مدارج السالكين، القاهرة، 1292 هـ ط1، ج2، .
22. محمد عبد المنعم الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2.
23. إبن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف، مصر، 1979.
24. مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عيد حسين حسن قطنان، مختارات من الشعر العربي القديم، دار صفاء للنشر و التوزيع.
25. الجبوري، يحيى، الحنين و الغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، ط2 – 1428هـ/2008م –الأردن –
26. الطويل يوسف، مدخل إلى الادب الاندلسي، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1991، د6 ص 235.
27. المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب د ط ، تح، إحسان عباس بيروت– دار صادر– 1408هـ/1988م.
28. الحميدي حذوة المقتبس. دط. تقديم السيخ محمد زاهر الحسن الكوثري تصحيح و تح محمد بن تاويت الطبخي، مكتبة الخانجي للنشر و التوزيع، ص184.
29. يوسف عيد الشعري الاندلسي، مصادر النكبات، دار العز و الكرامة للكتاب، الجزائر، دط، دت

المجلات و الدوريات

1. الجيلالي سلطاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والاندلس، رسالة ماجستير–جامعة دمشق 1987 – .
2. طحطح فاطمة، الغربة و الحنين في الشعر الاندلسي، ط1، الدار البيضاء، منشورات كلية الادب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، 1993–
3. دخموش فتيحة، تجزئة الغربة و الحنين في شعر ابن خفاجة الاندلسي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004–2005–
4. خليفي عثمان، هجيرة، الاغتراب في الشعر الاندلسيين عصر غرناطة أنموذجا، جامعة أبوبكر بلقايد– تلمسان– 2015–2016–
5. سعد بن ماشي العنزي، الرؤيا و التشكيل، في الشعر ابن خاتمة الانصاري الاندلسي الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا–2009–
6. مها روحي إبراهيم الخليلي، الحنين و الغربة في الشعر الاندلسي، عضر سيادة غرناطة (635هـ–897هـ) فلسطين 2007 ص 18.
7. محمد خليفة – عبد اللطيف–دراسات في سيكولوجية الاغتراب–دار الغربي–القاهرة– 2003– ص 20.
8. جديدي زليخة، الاغتراب–مجلة العلوم الإنسانية، جامعة وادي سوف، ط1 ع8 (د.ط) الجزائر–جوان 2012 ص 12.